4 me Année, No. 153. | Lundi - 8 - 6 - 1936

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد
مكتب الاعلانات
٣٩ شارع سليمان باشا بالقاهرة
تليفون ٤٣٠١٣

الرسالة

مجلة اسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
بشارع المبدولى رقم ٣٢
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ١٥٣ «القاهرة فى يوم الاثنين ١٨ ربيع الأول سنة ١٣٥٥ — ٨ يونيه سنة ١٩٣٦» السنة الرابعة

فهرس العـــــــدد

فى النقد

إلى صديقى أحمد أمين

للدكتور طه حسين بك

أخى العزيز :

قرأت فصلك الأخير الذى تناولت فيه النقد فصورت ما رأيت من ضعفه ، والتمست له العلل والأسباب . وما أكثر ما يمكن أن يتصل بينك وبينى من الجدل لو أننى وقفت عند هذه القضايا التى أرسلتها ارسالاً ، وحكمت بها على النقد قبل عشرين سنة ، وعلى النقد الآن ؛ وعلى الأدب قبل عشرين سنة ، وعلى الأدب الآن ! ولكن الفصل فصل صيف ، لا يسمح بالجدل الطويل والحوار المتصل ، لأننا مشغولون عن هذا وذاك بما تعلم من أعمالنا اليومية الثقيلة التى يقتضيها آخر النشاط الدراسى وأول هذه الأيام التى يفرغ فيها كل منا لنفسه ودرسه وراحته وراحة من يتصلون به ، فلن أجادلك فى أكثر هذه القضايا التى لا أكاد أقبل رأيك فيها . ولو أنى أرسلت نفسى على سجيتها لما جادلتك فى شىء مما ألممت به فى هذا الفصل ،

ولقرأته كما أقرأ كثيراً مما تـكتب مستمتعاً دائماً ، عارفاً أحياناً ، ومنكراً أحياناً ، ومتحدثاً اليك بما أعرف من آرائك وما أنـكر

نعم لو أنى أرسلت نفسى على سجيتها لا كتفيت بمـا كان بينك وبينى من حديث أول أمس ، ولـكنى مدفوع هذه المرة الى أن أتجاوز السجية ، وأخرج عن العادة المألوفة ، وأرد بعض الأمر الى نصابه ، لأنك تجاوزت فيه ما ينبغى من الانصاف . وأنا أبرأ اليك من الغرور وأربأ بك عن الجور ، وما أشك فى أن أمثالى من الـكتاب الذين عرّضت بهم أو عرضت لهم فى فصلك القيم يبرأون اليك مثلى من الغرور ويربأون بك مثلى عن الجور ، ويرون مثلى أنك عرضت لقضية النقد ولقضيتهم هم فى النقد عرضاً سريعاً ، حظ اللباقة فيه أعظم من حظ التثبت والتدبر والأناة

وأظنك قد عرفت الآن القضية التى أريد أن أجادلك فيها ، والمذهب الذى أود لو أصرفك عنه . فأنت ترى أن جماعة النقاد الذين كانت اليهم قيادة الرأى الأدبى ، أو قيادة الحياة العقلية منذ حين ، قد اصطنعوا الشجاعة أول أمرهم ، وآثروا الصراحة أوكانت الصراحة لهم خلقا ، فكتبوا كما كانوا يرون ، وأخذوا بحظوظهم الطبيعية من الحرية ؛ لم يحفلوا بالجمهور ، ولم يخافوا الرأى العام ، ولم يحسبوا لمقاومة المحافظين حساباً . ونشأ عن شجاعتهم تلك ، وعن صراحتهم هذه ، أن بعثوا فى الحياة العقلية نشاطاً لم تألفه مصر ، فـكان الصراع العنيف بين القديم والجديد ، وكان الخصام الشـديد بين الحرية والرجعية ، وألفت الـكتب ونشرت المقالات وأذيعت الفصول ، وانتفع الأدب بهذا كله واستفاد النقد . وكل هذا صحيح عندى لا شك فيه ، ولـكنك ترى بعد ذلك أن هؤلاء الـكتاب قد أوذوا فى مناصبهم وفى أنفسهم وفى سمعتهم وفى أرزاقهم ، فلم يثبتوا للأذى ، ولم يمضوا فى المقاومة ، ولم يمنهم أتباعهم وأولياؤهم على الثبات ، وإنما عطفوا عليهم عطفا أفلاطونياً لا يشبه ما يجده أمثالهم فى أوربا من الأتباع والأولياء ، فلانوا ودانوا ، وجاروا وداروا ، وآثروا العافية ومضوا مع الجمهور الى حيث أراد الجمهور ، ونشأ الجيل الجديد فاقتدى باخوته الـكبار وسار سيرتهم ، وأصبح النقد مصانعة ومتابعة ، وأصبح الأدب تملقا وتقليدا

وهذا أيها الأخ العزيز هو الذى أخالفك فيه أشد الخلاف ، وأنكره عليك أعظم الانكار ، يدفعنى إلى ذلك أمران : أحدهما أن رأيك بعيد كل البعد عن أن يصور الحق ؛ والثانى أن رأيك يمسنى ، وأؤكد لك أنه يحفظنى كل الاحفاظ ويؤذينى كل الايذاء ؛ ولعله يحفظنى ويؤذينى أكثر مما أحفظنى وآذانى كل ما لقيت من ألوان المشقة والاعنات . فهل من الحق أن هؤلاء الـكتاب الذين تشير اليهم قد أدركهم الضعف والوهن ، فالأوا الجمهور ، وصانعوا السلطان ، وآثروا العافية فى أنفسهم وأموالهم ومناصبهم ؟ ومتى كان هـذا ؟ أحين عصفت العواصف بمصر فأفسدت أمرها السياسى والعقلى وألغت نظامها الحر إلغاء ، وفرضت عليها نظاماً آخر مصنوعاً ألغيت فيه كرامة الأفراد والجماعات وتجاوز العبث فيه بالحرية كل حد معقول ؟ تعال أيها الأخ العزيز نبحث معاً عن هؤلاء الـكتاب أين كانوا فى ذلك الوقت ؟ وماذا صنعوا ؟ والى أى حد جاروا وداروا وآثروا العافية ؟ لست فى حاجة الى أن أسميهم ، فأنت تعرفهم كما يعرفهم الناس جميعاً . لم يكن لأكثرهم منصب فى الدولة ؛ ولعلى كنت من بينهم الوحيد الذى كان يشغل منصباً من المناصب ، فلما عصفت العاصفة أقصيت عن هذا المنصب فأدركت الزملاء ، ووقفت معهم حيث كانوا يقفون ، ومضينا جميعاً الى حيث كان يجب أن نمضى ، واحتملنا جميعاً ما كان ينبغى أن نحتمل من الأثقال . فكنا أيها الأخ العزيز ألسنة الساسة ، وسيوف القادة ، والسفراء بينهم وبين الشعب . وكـنا سياطاً فى أيدى الشعب يمزق بها جلود الظالمين تمزيقاً . وكنت ترى وكان غيرك يرى آثارنا فى الظلم والظالمين ، وبلاءنا فى مقاومة العدوان والمتدين ، وحفاظنا لهذا الشعب الذى لم يكن له قوة إلا قوتنا يومئذ . وكنتم تعجبون منا بذلك وتحمدونه لنا وتؤيدوننا فيه . وكنتم تقومون على الشاطئ وترونا ونحن نغالب الأمواج ونقاوم العواصف نظهر عليها حيناً وتظهر علينا أحياناً ، فـكان بعض الناس يصفق لنا إذا خلا الى نفسه لا إذا رآه الناس ، ويعطف علينا إذا لم يحس السلطان منه هـذا العطف . ولست أزعم أنى قد استأثرت بهذا الفضل ، فقد كان نصيبى منه أقل من نصيب كثير من الزملاء . لم أدخل السجن وقد دخله منهم من دخله . أترى أن مواقفنا تلك كانت مواقف المنهزمين ؟ أترى أنا شغلنا عن النقد الأدبى بأنفسنا وأموالنا وإيثارنا العافية ومجاراتنا

[البقية على صفحة ٩٥٧]

ذات الثوب الأرجواني

للأستاذ ابراهيم عبد القادر المازني

— ١ —

(ملاحظة — الكلام ليس شخصياً وإن كان بلسان المتكلم ، وذات الثوب المذكورة هنا لا وجود لها إلا في الخيال)

لم يكن الأرجواني ثوبها الوحيد — وكيف يمكن أن يكون ؟ — ولا كان كل ما تلبس حين تبرز ، ولكنه كان أحلى ما تكتسي وأشبهه بخديها — في رأى العين ، وفي إحساس القلب أيضاً — وقد رأيتها في ثياب شتى وأردية متنوعة — في الشفوف والأفواف ، وفي السبائب المضلعة ، والمطارف المربعة ، وفيما عليه من الخطوط كأفاويق السهم ، ومن النقوش كهيئة الطير ، ومن الصور كرسم العيون ، وفي الأبيض والأخضر والأزرق ، ولكنه لم يقع من نفسي شيء من هذا كله كموقع هذا الثوب الأرجواني الذي لا نقش فيه ولا صور ولا ترابيع ولا تداوير ولا تضاليع ولا خطوط ولا وشى ولا نمنمة . ومن العسير أن يعلل المرء هذا الشعور بوقع ثوب معين ؛ وأحسب أني لو قلت ما يجول في خاطري ساعة أراها بادية فيه — أو مجلوة على الأصح — لظنني القارئ عربيداً مستهتكا ، وما أنا من هذا في قليل ولا كثير . وليصدق القارئ أو لا يصدق ، فما يعنيني ماذا يظن بي . وقديماً قلت — أيام كنت أقول الشعر — :

قد أفعل الشيء لا أبني به أملا ولا أبالي الورى ماذا يقولونا
همي ضميري ـ فان أرضيته فعلى رأي العباد سلام المستخفينا

وما زلت كما كنت يوم قلت هذا ، بل لعلي أسرفت في قلة المبالاة ، حتى صرت إلى الاستخفاف المطلق

ولأرجع إلى ذات الثوب الأرجواني ، فانها أحق بالكلام وأولى به مني ، وكم قلت لنفسي وأنا أراعيها : « بأي شيء يا ترى يمكن أن تتوسل إلى مثلها ؟ .... لا أنت جميل ولا محتمل .... ولا لك مال ... ولا في رأسك هذا عقل ... أو ليس لو كنت تعقل أما كنت حرياً بالانصراف عن هذا العبث ؟ .... ماذا ترجو منها ؟ ... في أي شيء تطمع ؟ ... إنها دونك سناً ، وأنت دونها في كل شيء ... فلا خير فيك لها أو لمثلها »

ثم أعود فأقول لنفسي : « عن أي شيء تتكلم يا هذا ؟ ... الجمال ؟ .. سبحان الله العظيم ! إن الجمال هو سلاح المرأة ، فحظها منه ينبغي أن يكون موفوراً ، وإلا زهد فيها الرجال ، إذ كان لا مزية لها غير ذلك ... ولكن الرجل شيء آخر ، وسلاحه في الحياة قوته وقدرته على الكفاح ... لا هذه الأصباغ والألوان التي لا تلبث أن تحول .. فدع الجمال ، فانه شيء يطلب في المرأة ولا يطلب في الرجل ... وماذا غيره ؟ ... إنك غير محتمل ؟ ؟ .. لماذا بالله ؟ ؟ لماذا تظلم نفسك وتبخسها هذا البخس ؟ .. ومع ذلك هذا شيء يترك لتقدير الغير ولا يجوز أن تكون أنت الحكم فيه ... يعني ماذا ؟ ... أتراني أهرب بهذه السفسطة من التقدير ؟ ... لا ... ولكني ينقصني أن أعرف الرجل الذي يستحيل أن يهتدي إلى امرأة تحبه ، مهما بلغ من رأي الرجال فيه أو من سوء رأيه هو في نفسه ... أو لم تسمع بالمثل القائل : « كل فولة لها كيال ؟ » ، ألسنا نقول ذلك كلما رأينا رجلا ثقيلاً تحبه امرأة جميلة كانت تستطيع أن تجد ألف عاشق لها غير هذا الجلف أو السمج ، أو ما شئت غير ذلك من الأوصاف التي لا تهون على النفس ؟ ومع ذلك هذه مبالغة ، فما أنا بحيث أحتاج إلى التعزي بأن كل فولة لها كيال ... أعوذ بالله ... بقي المال والعقل ... والكلام في هذا كلام فارغ ... فليس من الضروري أن يكون المرء نداً لروتشيلد لكي تحبه المرأة مهما بلغ من جمالها . وليت من يدري بماذا فاز روتشيلد من حب الجميلات في حياته ؟ ومتى كان المال يشتري الحب ؟ كذلك ليس من الضروري أن يكون المرء سقراطا أو غيره من أصحاب العقول الضخمة ليكون محبوباً .. ومع ذلك سل سقراط عن تعذيب امرأته له ، وتنغيصها حياته ، وتسويدها عيشه ! ... ماذا ترى نفعه عقله وفلسفته ؟ ... لا يا سيدي ! الحب شيء لا ضابط له إلا تقدير المرأة للرجل الذي تحس بغريزتها أنه أصلح لها من سواه ؛ وقد تكون مخطئة ، ولكن هذا هو العامل الموجه لها في اختيارها ... إذن هناك أمل ؟ ... بالطبع ! ... ما هذه الحماقة ! ... إنها ولا شك عادة التفكير الطويل في كل

أمر ... وهى عادة تضعف الثقة بالنفس ، وتفقدها الشجاعة اللازمة للاقدام »

ودارت فى نفسى كلمة الاقدام بعد أن نطقت بها — فى سرى ، وهل أنا مجنون حتى أتكلم بصوت عال يسمعه من فى البيت فتكون النتيجة أن يخربوا بيتى ؟ — فلم يسعنى إلا أن أسأل نفسى : « الاقدام على أى شىء ؟ . . هذه فتاة أراها — وترانى هى أيضاً فما يسعها إلا أن ترى ، أعنى ترانى — ومن طول ما اعتدت أن أراها صرت أحس أنها أصبحت تشغل مكاناً فى نفسى .. مغالطة !!. كأن كل الذنب فى حبها أنى رأيتها مراراً .. ولولا ذلك لما حفلت نفسى بها ! ؟ ! أهذا ما أريد أن أقوله أو أدعيه ؟ ؟ . لا ياسيدى ! . . يحسن مادمت أناجى نفسى أن أكون صريحاً معها ، وإلا فما الفرق بين نجوى النفس ومحادثة الأغراب ؟ ؟ . وأعود إلى الاقدام . . وأسأل على أى شىء ؟ . . على أى شىء ؟ ؟ أو ليس الامر بديهياً ؟ . تشير اليها . . تظهر لها هذا الحب . . كيف بالله تريد منها أن تعرف أنك تحبها وأنك تروم أن تبادلها هذا الحب ؟ ! « تشم على ظهر يدها » كما يقول المثل العامى ؟ ؟ . حسن . . وصحيح هذا بلا شك ، ولكن ألا يمكن أن تعرف من نظرة العين وحدها ؟ ؟ بلى ! . وإن للمرأة لقدرة على الاحساس بشعور الرجال نحوها ، ولو كان بينهم وبينها ألف سور وسور . . . ما هذه المبالغة ؟ . مبالغة ؟ ! ألم أسأل امرأة هذا السؤال فكان جوابها أنى أكون سائرة فى الطريق فأشعر بنوع النظرة التى يرمينى بها من يتفق أن يكون سائراً خلفى ؟ . فاذا أسقطنا المبالغة من هذا الكلام كان مؤداه أن المرأة يسعها أن تدرك أتحبها أولا تحبها من نظرة عينك ؟ . بل هذا يسع أى انسان لا المرأة وحدها . . . ولكن إذا اكتفينا بالنظر ودلالته ، فماذا يكون بعد ذلك ؟ ! هل تروم منها أن تبدأك هى بالكلام وتقول لك : « ياسيدى إنى أعرف أنك تحبنى فانا أشكرك على تشريفى بهذا الحب الذى لا أستحقه ، وأؤكد لك أنى لست أهلاً لحب رجل عظيم مثلك ؟ سبحان الله العظيم . . ما هذا البرود ؟ . إن الرجل حين يحب امرأة يكون معنى هذا أنه يريد أن يستولى عليها — هذا إذا كان رجلاً عادياً سليماً لا مريضاً — والرغبة فى الاستيلاء تجعل من واجبه هو أن يسعى للتغلب على ما عسى أن يكون هناك من مقاومة ، وليس ثم فرق بين غزو قلب وغزو مدينة ؛ والحقيقة الجوهرية فى كلتا الحالتين واحدة ، وإن اختلفت المظاهر ؛ وكما أن هناك مدناً لا يكاد الجيش يزحف عليها حتى تسرع الى التسليم ، كذلك تجد قلوباً لا تكاد العين تفوق اليها سهما حتى تذعن وتفتح بابه . غير أن هناك قلوباً لا يسهل إخضاعها ولا بد من الكر عليها ، وليست كل امرأة ككل امرأة ، فالذى يجدى مع هذه قد لا يجدى مع تلك لتفاوت الأمزجة واختلاف الطباع ؛ وما أظن صاحبتنا ذات الثوب الارجوانى بالعسيرة ، وإن لى لمعواناً عليها من شبابها وغرارتها ومن حياة العزلة والحرمان التى تحياها . والشباب هو زمن الفورة والاضطرام فى العواطف ، والحرمان والعزلة يجعلان العواطف الطبيعية أشد استعداداً للاضطرام السريع والتسعر لأقل اتصال . وهل طبيعى ألا تعرف الحياة فتاة فى عنفوان صباها إلا من النافذة وإلا من كتاب — أو رواية — تقرأه وهى فى الشرفة ؟ . ماذا تعرف هذه عن الحياة ؟ . وماذا خبرت من أحوال الناس وأساليبهم ؟ . كيف تستطيع أن تقاوم ما تهدد به ؟ بل كيف تعرف أنها مهددة بشىء حتى تفكر فى المقاومة ؟ ؟ . هذه هى فى الشرفة واقفة تنظر من هذا الارتفاع الذى لا يمكن أن تستبين منه شيئاً . . . لماذا تلبس هذا الثوب الارجوانى الأنيق الذى يبدى للعين خطوط جسمها جميعاً وانحناءاته كلها ويجلو مفاتنها ولا يحجب شيئاً منها ؟ . . أليست تلبسه لتبدو فيه كأجمل ما تكون وفى أفتن صورة ؟ . . تعرض محاسنها هذا العرض البديع ولا تجد فى مكانها العالى هذا من يقدرها ! ! . والناس لا يشعرون بالحرمان منها لأن غيرها فى الدنيا كثيرات . . . ولكن هى . . . هى . . . أليس المعقول — وهى تنظر إلى الرائحين والرائحات والغادين والغاديات — أن تشعر شعوراً حاداً بما هو مكتوب عليها من الحرمان ؟ . . ومع هذا الشعور المستمر ماذا تقدر أن تكون النتيجة إذا اتفق أن اتصلت أسبابها أو هى اتصال بأسباب رجل يصغو بوده إليها وتأنس هى منه هذا الميل ؟ . يخفق قلبها على الرغم منها . . وتلقى نفسها معنية بهذا الرجل الذى يوليها العناية التى حرمتها فى حياتها ، ويظهر لها الحب الذى لا يستطيع أن يظهره لها أخوها

أو أبوها لأنه من نوع آخر ، ولا يغنى عنه حب الأم والأخت ومن إليهما . . وتشغل خواطرها بالتفكير فى هذا الانسان الذى لا يفتأ ينظر إليها وفى عينيه نور الحب . . . وقد يكون كاذباً أو مخادعاً ، ولكنها لا تستطيع أن تعرف هذا لأنها غريرة لم تجرب الناس ولم تعرف الحياة إلا من نافذة بيتها . . . فتراها تبدو فى حفل من الزينة — ولم تكن تعنى بأمر زينتها كل هــــذه العناية — وتكون واقفة مع صاحبة لها تحدثها فتتحول عينها إليك وتخالسك النظر ... ويكون الكلام عادياً جداً لا يستدعى كل هذه الحركة ولا يستوجب هذه الضحكات المتوالية التى يميل لها الجسم كل مميل ... ولا تزال وهى تتكلم تهز رأسها وتسوى شعرها بيديها وتخرج وتدخل ولا شىء هنالك تدخل له ، ولكنه الشعور المتقد القلق ، والعواطف المشبوبة لأنها محبوسة تريد أن تنفجر من طول الكبت ... وهذا الدبوس الذى تشيله وتحطه لم يكن قلقاً فى موضعه من شعرها ولكن نفسها هى القلقة ، فيدها لا تهدأ ولا تسكن ولا تستطيع أن تكف عن الحركة ... وهذا الثوب الجديد الذى لم يفصل والذى تنشره فى الشرفة لتراه تها كان فى وسعها أن تعرضه عليها فى الغرفة ولكنها حركة عصبية تشى بالاضطراب النفسى ... وهذا النبات الذى اتصل بعضه ببعض على جانب الشرفة والذى يحجب من فيها عن عيون الجيران هل تظن أنه يحتاج إلى تسوية ؟ . لا . ولكن يدها مع ذلك لا تزال وأنت ناظر إليهـا تعبث بأوراقه النضيرة وقد تنظر إليك عن عرض وهى تفعل ذلك ... ولا تحسب أنها تغازلك فما تفعل شيئاً من ذلك ولكنه لا يسعها إلا أن تنظر إليك خلسة من حين إلى حين ، لأنه يسرها أن تراك ناظراً إليها وأن تعلم أنك مشغول بها حتى ولو أبدت الضجر من ذلك أحياناً . وإذا لم ينظر الرجل إلى المرأة فماذا يكون مصيرها ؟ . وما ذا عسى أن تصنع بنفسها ! . . وهى تغيب عنك وتحتجب — يوماً كاملاً أو ساعات — لعلها أن احتجابها يسعر النار التى فى صدرك ويرق بألسنة اللهيب الى السماء . وهى تقضى على نفسها بهذا الاحتجاب وخواطرها كلها معك وان كانت تكلم أمها وأخاها وأباها كأنما خلت بها اللهيات الحاضرة التافهة عن كل ذكر لك . وليست المرأة بشىء إذا لم تكن قادرة على هذه المخادعة البريئة . والشرفة الأخرى ليست فى جانب غير هذا من البيت ، بل الاثنتان على صف واحد ، وليست إحداهما بأوسع أو آنق أو أحلى ، ولكنها تنتقل من هذه الى تلك لغير حكمة ظاهرة ، إلا أنها تريد أن تفهمك أنها لا تحب أن تراها ولا ترتاح لطول تحديقك فيها . . وليس هذا بصحيح ، ولكن المرأة هكذا أبدا . . . وتجلس فى الشرفة على الكرسى وفى يدها الكتاب وتتعمد أن توليك ظهرها وأن تجعل وجهها الى ناحية أخرى لتوهمك أنها غير راغبة فيما ترميها به من النظرات . . . ولا تقرأ شيئاً لأنها لا تقلب الصفحة إذ كان عقلها مشغولاً بك وهل لا تزال واقفاً ؟ . وهل تراك تنظر الى غيرها ؟ . وهل أنت ضاحك أو عابس ؟ . وما ذا كان وقع هذا الاعراض فى نفسك ؟ . هل آلمك جداً ؟ . هل أغضبك ؟ . أو زادك تعلقاً بها واقبالاً عليها ؟ . وتمد ساقها وتهزها لتلفت نظرك الى جمالها . وتنهض واقفة وتنحنى لتضع الكتاب على الكرسى ثم تخرج من الشرفة — لا لحاجة — بل لتريك خط ظهرها وبراعته وفتنته . . . وترفع رأسها قليلاً — وعلى مهل — حتى تحاذى عينها حافة الشرفة لتنظر أباق أنت أم مللت وذهبت ؟ ؟ . وتراك تتهيأ للخروج فتختفى وعينها عليك من وراء الأستار — وفى ظنها أنك لا تفطن الى ذلك — فاذا انحدرت الى الشارع برزت فى الشرفة لتلقى عليك نظرة أخيرة . . . ويجىء الليل فتجلس فى الظلام وأنت فى النور لتراك ولا تراها . . وإذا جاء وقت النوم أغلقت باب الشرفة بعنف لا تدعو إليــه أى ضرورة سوى أنها تريد أن تؤذنك بذلك

هذه حياة المسكينــة وهذا ما يحوجها اليه ما هى فيه من العزلة والحرمان الدائم . وأى قدرة لمثلها أو عسر يمكن أن يكون فيها الا عسر السجن . . . كان الله فى عونها فانى أرانى أعطف عليها وأرثى لها فى محنتها هذه أكثر مما أرانى أحبها . وسلام عليها

ابراهيم عبد القادر المازنى

المغـــالطة
فى الوسائل والغايات
للأستاذ عبد الرحمن شكرى

كل انسان ظالم فى أمر واحد أو أكثر من أمر واحد من أمور الحياة ، فان المرء قد تميل به رغائب نفسه وحاجاتها وشعورها حتى يحسب غايته الدنيئة ، ومقصده الوضيع ، ورغبته الخسيسة ، غاية عالية ، ومقصداً نبيلاً ، ورغبة شريفة ؛ وأساسها لو فطن له الغرور والاعجاب بالنفس ، أو محاولة اخفاء نقائصها ، أو محاولة كسب الجاه ، أو المنفعة من حساب غيره ؛ ومتى تهيأ له قبول الغاية الدنيئة ، كأنها غاية نبيلة سهل عليه أن يغالط نفسه مغالطة أخرى ، فيزعم أن الغاية النبيلة تزكى الواسطة الدنيئة . ولا تجد بين الناس من لا يغالط نفسه هذه المغالطة أيضاً فى أمر واحد أو أكثر من أمر واحد من أمور الحياة

وهذه المغالطة المزدوجة تجعل المرء يزكى الواسطة الدنيئة بالغاية الدنيئة ، لأنه أولاً غالط نفسه فحسب الغاية الدنيئة غير دنيئة ، ثم غالط نفسه وحسب هذه الغاية تبرر الواسطة الدنيئة ؛ وقد يغالط المرء نفسه مغالطة ثالثة ، فيحسب الواسطة الدنيئة نبيلة ، وهذا من قبيل الاحتياط إذا لم يستطع أن يزكى عمله لدى الناس بمبدأ تبرير الواسطة بالغاية

وهذه المغالطات الثلاث تصل بالمرء إلى حالة نفسية يرى فيها أنه يحاول بلوغ الغاية النبيلة بالوسيلة النبيلة ، وهو إنما يحاول بلوغ الغاية الدنيئة بالوسيلة الدنيئة . وقلما يفطن الناس إلى هذه المغالطات فى أنفسهم ، وقد يعمون عنها فى نفوس معاشريهم ، فالمرء قد يكون مدفوعاً فى سلوكه بما ركب فى نفسه من طبائع الشر ، أو لأنه يمنى نفسه أن فى قوله أو عمله منفعة لنفسه ، أو لأنه يرى فيهما إعلاء لنفسه أو لرغبته فى الظهور بمظهر الغيرة على الخير والحق ومظهر كره الباطل والشر أو لسبب آخر من أسباب عديدة متنوعة ، ولكنه لا يزال يروض نفسه حتى يصرفها عن الأسباب الحقيقية وحتى تعتقد نبل غايتها ومقصدها ، وأن مطلبها الحق أو الفضيلة أو الخير أو الدين ، وقلما تجد فى الناس من يعجز عن أن يقنع نفسه أنه إنما يعادى أو يصادق من أجل هذه المطالب النبيلة الشريفة ، فاذا اقتنعت سهل عليها أن تتخذ الوسائل الدنيئة لمحاربة من ترى فى محاربته ظاهرة انتصار منها لهذه المطالب ، فتتخذ من وسائلها النميمة والكذب واستثارة الأحقاد بالنميمة والغيبة والكذب ، وكل هذه وسائل دنيئة ، وتحيل النفس على المبدأ المعروف الذى يقول أصحابه إن الغاية تبرر الواسطة ، فتكون النفس قد خطت خطوتين فى المغالطة والايهام : الأولى تحويلها الغاية الدنيئة إلى غاية نبيلة ، وهذه خطوة خطتها كى تخطو الخطوة الثانية وهى اعتناق مذهب المبررين للواسطة بنبل الغاية ؛ ولو أصبح هذا المذهب عقيدة عامة مقدسة لانهارت أركان الديانات وتفككت عن النفوس عرى الفضائل وانحلت قيودها وتسفلت النفوس ، ولكن النفوس تأخذ بهذا المبدأ عملياً وفى خفية أو تنبه بطريق الايحاء وهو من أسباب تحول النفوس عن الخير والفضيلة حتى على خفاء العمل به والاحتيال لتزكيته بوسائل النفوس الجشعة المتعطشة للمكاسب كما هى نفوس أكثر الناس فى أحوال كثيرة

وأحسب أنه لولا المغالطة الأولى أى الوهم الذى يقلب الغاية الوضيعة ويجعلها غاية شريفة لما كثر أخذ الناس بالمبدأ الذى يبرر الواسطة بالغاية النبيلة ، إذ أن تلك المغالطة الأولى هى الأساس الذى يبنى عليه هذا المبدأ فى كثير من الأحوال والذى يبيح للناس كل وسائل الشر فيواقعونها وهم يحسبون أنهم على خير وإلى خير وفضل

وإذا تتبعت غايات الناس فى مساعيهم المختلفة وجدت أن كلاً منهم مهما سفلت غايته يزكيها ويرفع من شأنها ويلبسها لباس الفضيلة أمام نفسه وأمام الناس ، وهو يفعل ذلك إذا كانت غايته وضيعة أكثر مما يفعل إذا كانت غايته رفيعة ، لأن الغاية الرفيعة ليست فى حاجة إلى كل هذا الجهد ، وعلى قدر شعور المرء بحقارة غايته تكون رغبته فى مغالطة نفسه ، وعلى قدر تسفل تلك الغاية يكون غيظه وحنقه ممن يطلعه أو يطلع الناس على حقيقة غايته وأسبابه التى يخفيها . ومن العجيب أنه يحاول أن يستفيد أيضاً من هذا الغيظ الذى سببه الأنانية فيظهره بمظهر الغضب للحق أو الفضل أو الخير أو الدين ولا يزال بنفسه حتى يقنعها أن غيظها ليس غيظ الأنانى المحنق الذى اطلع أو كاد أن يطلع أو يخشى أن يطلع الناس على دناءة غاياته أو وسائله فيوهمها أنه غيظ مقدس نبيل وغضب شريف ، وهى إذا اقتنعت واعتقدت ذلك سهل عليها اقناع الناس عما اقتنعت به من باطل ، وهنا

منشأوه كبير يقع فيه الناس ، فانهم إذا أبصروا إنساناً عظيم التأثير فى النــاس تمديهم شدة اعتقاده واقتناعه حكموا أنه على حق ، ولا سيما إذا كان الحاكم هذا الحكم قليل الخبرة بالنفس الانسانية ، فاذا زادت خبرته بالنفس علم أن شدة اعتقاد الانسان وعظم اقتناعه وما ينشأ عنهما من عدوى تؤدى إلى شدة اعتقاد الناس وعظم اقتناعهم لايدل على أن هذا الانسان على حق فيما يعتقد وفيما أعدى الناس اقتناعه به ، ولـكنها سنة مألوفة لدى الباحث فى النفس وهى أن الاحساس الشديد ينتقل كالعدوى لشدته وكذلك الاقتناع العظيم ينتقل من نفس إلى نفس كالعدوى لعظمه لالصوابه ، ولما كان الاقتناع المؤسس على الحقد أو الأنانية شديداً لأنه مؤسس على إحساس شديد وهو الحقـد أو الأنانية سهل انتقاله إلى نفوس النــاس شأن كل اقتناع مؤسس على إحساس شيء شديد آخر ، وأحسب أن الناس معذورون بعض العذر فى هذه المغالطات النفسية وفى بعض هذا الغيظ والحنق إذا كشف كاشف عن تسفل غاياتهم أو وسائلهم لأنه إذا أتيح لأكثر الناس فهم حقارة غاياتهم ووسائلهم والتأثر بهذا الفهم والتألم من أجل تلك الحقارة ضاعت ثقتهم بأنفسهم وضاعت ثقة الناس بهم واعتراهم الضعف فى معالجة أمور الحياة ومعالجة مطالبهم فيها ولا مراء أن بعض هـذه النتائج محمود إذا بلغت بهم منزلة القصـد والعدل والحق ولم تنحدر بهم الى منزلة الضعف والعجز ولم تنل من عزائمهم كل منال ، ولـكن الناس يعرفون أن نفوسهم قلما تنتقل من إحساس إلى إحساس إلا من نقيض إلى نقيض مثل رقاص الساعة فمن فعل إلى رد فعل ، ومن رأى إلى نقيضه ومن شعور إلى عكسه فتغيرهم النفسى يختلف عن تغير أمور الطبيعة . ومن أجل ذلك ترى أن الناس فى حياتهم وتاريخهم يسبقون سنة التغير فى الطبيعة فيحدث رد فعل ورجعة فى أمورهم كى يرجعوا إلى ما يناسب تغير أمور الطبيعة ، وهذا هو سبب كثرة ما يشاهد من فترات الرجعة ورد الفعل فى تاريخ البشر وفى حياتهم

وهـذه الطفرة فى إحساس النفس مشاهدة بصفة خاصة فى العامة والصغار والجهلة والقليلى المدنية أكثر من مشاهدة الباحث لها فى الخاصة والـكبار والمتعلمين والـكثيرى المدنية . ومن أجل تردد النفس بين الاحساس ونقيضه يخشى الناس على عزيمتهم فى الحياة ويخشون النتائج التى يأتى بهـا اطلاعهم على حقيقة غاياتهم ووسائلهم ويخشون أن يعرفوا ضعتها بعد اعتقادهم نبلها فهذا أمر يفاجئهم مفاجأة قد تحدث هزة فى النفس وهذه الخشية تزيد غيظهم وحنقهم فيدفعون بالغيظ ذعرهم من أن تنأى بهم ضعة غاياتهم عن عزائم النجاح ومساعيه ، وهم يخشون الفشل والضيعة ، وما قد يكون فيهما من الذل أو فقـدان وسائل الحياة نفسها ؛ ولا شيء يدعو إلى القسوة مثل ذعر المرء إذا خشى أن يفقد وسائل الحياة على اختلاف منافعها بفقد اعتقاده نبل غاياته ووسائله حتى ولو كان فقده وسائل الحياة من أجل ذلك بعيد الاحتمال .

ولـكن كثيراً ما يحصن المرء ضعة غاياته ووسائله بمـا يعتقد الناس فيـه وما يعتقد هو فى نفسـه من الفضل والجاه والنبل والصدق ، ولا تخلو نفس من شيء من هذه الصفات قل أو كثر ، وكلمـا كثر نصيب المرء من هـذه الصفات كثرت حصانة غاياته ووسائله ، ومن أجل ذلك ترى الرجل الذى يعتقد الناس فيـه هذه الصفات أقدر على مغالطة الناس ومغالطة نفسه فتسهل هذه المغالطة بمـا له عند نفسه وعند الناس من ثقة بنصيبه من هـذه الصفات ، وهذا الرجل أشد خطراً على الحق والخير إذا غالط نفسه أو غالط الناس لأنه يسهل تصديقه والاقتداء به ولا يحسب أحد أن له غاية حقيرة أو وسيلة دنيئة بجـانب ما فى نفسه من صفات الفضل والصدق والحق أو بجانب ما اكتسب من جاه وثقة

وكما أنه يسهل أن تحول الغاية الدنيئة غاية رفيعة نبيلة وأن تعتقد أن تلك الغاية التى صارت نبيلة فى نظرها تبرر الواسـطة الوضيعة يسهل أيضاً أن تستغنى النفس عن الخطوة الثانية وهى تبرير الواسـطة الوضيعة أو تحويلها الى واسطة نبيلة وابرازها للناس كأنها واسطة شريفة سامية بدل تبريرها بالغاية والقصد ، وهذا من شدة احتياط النفس عند من قد يرفض ذلك التبرير ويأبى تلك التزكية ، ونظرة من الباحث المتقصى وسائل الناس تدل على أنهم يتعامون عن ضعة وسائلهم ويغالون فى ابرازها فى حلة الوسائل الساميـة وانما الخلاف بينهم فى تزكية كل منهم وسائله واتهام وسائل غيره . وقد يعرض للباحث سؤالان هما هل يتاح للانسان عصر يكثر فيه من بحث نفسه وتقصى حقائقها ؟ وهل يرفع هذا التقصى من نفس الانسان ؟ ؟ أحسب أن هذا لا يكون ما دام ذعره خشـية فقدانه وسائل الحياة على اختلاف أنواعها وانفعا معذوراً

عبد الرحمن شكرى

المأساة الفلسطينية

لباحث دبلوماسي كبير

أجل لم تعد قضية فلسطين مسألة من مسائل الاستعمار والسياسة ، ولكنها تغدو مأساة حقيقية

مضت إلى اليوم عدة أسابيع ، وفلسطين تجوز أحداثاً هائلة : أهوال الاضراب والمقاومة السلبية ، وأهوال القوة الغاشمة تميل عليها وتنكل بها من كل صوب ، وتحاول اخماد أصواتها وأنفاسها بكل وسيلة ، وتعمل على تجريدها من كل وسائل الاعراب والمقاومة ؛ والسياسة المتجنية تشهد آلام شعب بأسره هادئة جامدة ، لا تحركها صرخات الألم ، ولا ازهاق الأنفس واهراق الدماء ، بل تؤكد هادئة أنها لن تحاول بديلا لخطتها ، وأنها ستمضي فيها إلى النهاية غير مكترثة بارادة شعب وحقوقه ، بل بحياته أو موته

والواقع أن فلسطين اليوم تجوز صراع الحياة والموت ؛ وهي تجوز هذا الصراع منذ تسعة عشر عاماً ، أعني مذ قضت عليها السياسة الانكليزية في سنة ١٩١٧ ، بأن تغدو وطناً قومياً لليهودية ؛ ولكن خطر الصهيونية على كيان فلسطين لم يبد في أعوامه الأولى كما يبدو اليوم ؛ وكانت الأمة الفلسطينية ما زالت في هذه الأعوام الأولى تهجس بشيء من الأمل ، أما اليوم فان الخطر الصهيوني يبدو في ذروة روعته ، خطر فناء لا شك فيه ؛ وتفقد الأمة الفلسطينية كل أمل في عدالة الاستعمار والعدالة الدولية ، وتدفعها اليوم إلى الكفاح نزعة يأس عميق ؛ وإذا بلغت الأمم حد اليأس ، هانت عليها كل سبل الاقدام والتضحية

وهذا ما يطبع كفاح الأمة الفلسطينية اليوم ، فانها تجوز غمار هذه الأحداث الهائلة التي نشهدها منذ أسابيع ، مقدمة غير مكترثة لبذل النفس والمال ، وتثابر على الكفاح بهمة الجلد المستميت

* * *

أسفرت الحرب الكبرى عن وقوع فلسطين تحت نير استعمار مزدوج ، فقد فرض عليها الانتداب البريطاني باسم عصبة الأمم ، والانتداب هو حماية أجنبية صريحة ؛ وقضت عليها السياسة البريطانية من جهة أخرى أن تكون وطناً قومياً لليهود ، وأدمج هذا العهد الذي قطعته انجلترا لليهودية في نص الانتداب الذي أقرته عصبة الأمم ، وغدت فلسطين بذلك أرضاً بريطانية كما غدت ميداناً للاستعمار اليهودي الاقتصادي والاجتماعي

ومنذ سنة ١٩١٧ يتدفق سيل الهجرة اليهودية على فلسطين ، يدعمها تدفق الأموال اليهودية ، والنشاط اليهودي بسائر ألوانه ومناحيه ؛ ولا تدخر السياسة البريطانية من جانبها وسعاً لرعاية هذا الوطن اليهودي الجديد ، وتشجيع نمائه ورخائه ، وتذليل كل صعب في سبيل الهجرة اليهودية ، وتنظيم الاستعمار اليهودي للبلاد ؛ وتفسح السلطة المنتدبة في ذلك مجالاً كبيراً لآراء الوكالة التنفيذية اليهودية ، وهي الهيئة اليهودية الرسمية التي تقوم في فلسطين بجانب سلطات الانتداب طبقاً لصك الانتداب ذاته ، وتتمتع بحق الاقتراح والمشورة في كل ما يتعلق بالوطن القومي اليهودي

ومع أن اليهودية أقبلت من سائر أنحاء العالم على استعمار فلسطين بحماسة شديدة ، وحملت إليها مئات الملايين ، واشترت من أراضيها مساحات عظيمة ، حولتها إلى مستعمرات يهودية غنية ضخمة ، وانشأت مدينة يهودية عظيمة هي مدينة تل أبيب ، وعملت على إحياء اللغة العبرية وجعلها لغة الوطن القومي الجديد ، وانشأت جامعة عبرية كبيرة لتعمل على احياء التفكير اليهودي ؛ مع ذلك كله كانت اليهودية في أعوامها الأولى تسير الى غايتها متعثرة ، وتزعجها سخط العرب وتبرمهم ؛ وكانت تخشى دائماً أن تميل السياسة البريطانية الى ارضاء الأماني القومية العربية بوجه من الوجوه ، خصوصاً وأن تصريح بلفور ذاته ينص على احترام حقوق الطوائف غير اليهودية ، المدنية والدينية ؛ بل لقد مر باليهودية قبل بضعة أعوام فقط ساعات يأس حقيقي ، وخيل لها غير مرة ، أن حلم هرتسل[1] في بعث الدولة اليهودية

---

(١) تيودور هرتسل الكاتب والصحفي النمسوي (١٨٦٠ — ١٩٠٤) ، وقد كان روح الحركة الصهيونية الحديثة ، وأعظم زعمائها ومنظميها

وإنشاء الوطن القومى اليهودى ، سينهار فى مهده ؛ وكادت الحكومة البريطانية فى سنة ١٩٣٠ بعد أن تبينت عدالة المطالب العربية فيما يتعلق بوقف الهجرة اليهودية ، ووقف بيع أراضي العرب ، وهى مطالب عززها تقرير اللجنة الانكليزية التى انتدبت لبحث هذه المسائل ، تجنح الى إرضاء بعض الأمانى العربية ، وصدرت فى مجلس العموم البريطانى تصريحات رسمية فى هذا الشأن ؛ ولكن سرعان ما تغلب نفوذ اليهودية مرة أخرى ، وسحبت الحكومة البريطانية تصريحاتها ووعودها للعرب ، بتصريحات معارضة ألقتها تأييداً لوجهة النظر اليهودية وعهد بلفور

وهكذا استطاعت اليهودية أن تخرج ظافرة من الأزمات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية التى كادت تزعزع اعمالها فى حلها وفى مثلها ؛ وذهبت جهود العرب سدى ، ولم يظفروا رغم ثوراتهم واحتجاجاتهم المتكررة بحمل السياسة البريطانية على أن تحيد ذرة عن خطتها

ثم لقيت الحركة الصهيونية ظرفاً جديداً لنشاطها واضطرامها ؛ ذلك أن ألمانيا جاشت بالخصومة السامية عقب قيام النظام الهتلرى ، ونظمت الحكومة الهتلرية لسحق اليهود فى ألمانيا مطاردة عنيفة رائعة ، فتوجست اليهودية فى أنحاء العالم شراً ، وهتفت كلها باخطار الخصومة السامية ، وألفت الصهيونية الفرصة سانحة لتؤكد لأبناء جنسها كرة أخرى أن الوطن القومى اليهودى هو ملاذ اليهودية وعصمتها من تلك النزعات الخطرة ؛ وهكذا تدفق سيل الهجرة اليهودية على فلسطين بعنف لم تعهده من قبل ، وزاد عدد اليهود فى فلسطين بسرعة حتى أنه بلغ الضعف تقريباً فى نحو ثلاثة أعوام ؛ ولبيان ذلك نقول إن اليهود بلغوا حتى سنة ١٩٣٢ نحو ثلثمائة ألف من مجموع سكان فلسطين وقدره مليون . وقد بلغوا فى سنة ١٩٣٦ حسب آخر إحصاء نحو خمسمائة ألف ، وبلغ السكان العرب من مسلمين ونصارى نحو سبعمائة وخمسين ألفاً ؛ وقد اجتمعت مرافق فلسطين الحيوية فى الأعوام الأخيرة فى يد اليهودية بسرعة ، وأحرزت اليهودية بالشراء السخى معظم أراضى فلسطين الخصبة ، وساعدتها السلطة المنتدبة على تحقيق سيطرتها الاقتصادية بجميع الوسائل التشريعية والادارية ، وما زالت هذه السيطرة تزداد توطدا وتمكينا

* * *

والآن وقد رأى العرب أن بلادهم التى استوطنوها منذ الأحقاب ، وأراضيهم ومرافقهم الحيوية ، وتراثهم الدينى والاجتماعى ، كل ذلك يسير سراعا إلى التلاشى والعدم ، والدولة المنتدبة تؤازر اليهودية باستمرار على تمكين غزوها المروع ؛ وخطر الفناء القومى يلوح فى ثنية المستقبل ، فهل نعجب إذا رأيناهم ينفجرون سخطا ويؤثرون السقوط فى ميدان الجهاد الشريف على ذلك الاعدام البطىء المنظم ؟ وهل تعجب الحكومة البريطانية إذا كانت سياستها فى فلسطين قد أدت إلى مثل هذا الانفجار الخطير ، وهو الثالث من نوعه فى نحو عشرة أعوام ؟

إن مؤازرة السياسة البريطانية لليهودية وتعضيدها لانشاء الوطن القومى يرجعان إلى اعتبارات واضحة معروفة ؛ فالسياسة البريطانية تعرف مدى النفوذ اليهودى فى عالم المال والسياسة ، وقد حظيت بريطانيا فى الحرب العظمى بمؤازرة اليهودية ، ومازالت ترى إلى الاحتفاظ بهذه المؤازرة ؛ وإنشاء الوطن القومى ضمان لاستمرار هذا التعاون بين السياسة البريطانية وبين اليهودية . بيد أن هنالك اعتبارات أخرى يلوح لنا أن السياسة البريطانية لم تقدرها حق قدرها . ذلك أن فلسطين هى قطعة من العالم العربى تحوطها الأمم العربية من كل صوب ، والأمة الفلسطينية هى عضو فى جماعة الأمم الاسلامية الكبرى ؛ وانكلترا التى تسيطر على عشرات الملايين من المسلمين ، فى افريقية وآسيا يجب عليها أن تحسب حسابا لعواطف المسلمين ومشاعرهم ؛ ومن المحقق أن العالم الاسلامى كله يعطف على فلسطين فى محنتها وكفاحها كل العطف ، ويأخذ على السياسة البريطانية مسلكها نحو فلسطين وأمانيها المشروعة ، ومن المحقق أن إصرارها على هذا المسلك سيكون له أسوأ الأثر فى العالم الاسلامى ، وفى عواطف الشعوب الاسلامية نحو انكلترا

وعلى اليهودية ذاتها أن تفطن لهذا الاعتبار ؛ فالوطن القومى اليهودى يقوم فى قلب العالم العربى والاسلامى ، متحديا عواطف العرب والمسلمين ، وهم من حوله كالبحر الزاخر ؛ واتعلم اليهودية أن الحوادث قلب ، وأن مصاير التاريخ ليست فى يدها وأن هذا

البحر قد يطغى يوما فيغمر هذا الوطن القوى بما فيه ويصبح أثراً بعد عين.

والسياسة البريطانية لا يمكن أن يفوتها مثل هذا الاعتبار الخطير الذى تنوه به الصحف البريطانية؛ ولكن الظاهر أن عوامل أخرى تملى على السياسة البريطانية تشددها نحو بحث المسألة الفلسطينية؛ فنحن نعرف أن السياسة البريطانية قد منيت بالفشل الذريع فى محاولتها إحباط الغزوة الايطالية للحبشة، وأن ظفر الاستعمار الفاشستى يثير اليوم فى انكلترا مخاوف خطيرة بالنسبة لمستقبل سيادتها فى شرق افريقية ووادى النيل، وكذلك بالنسبة لمواصلاتها الامبراطورية فى البحر الأبيض المتوسط؛ وتخشى انكلترا أن تساهلها نحو أمانى فلسطين — وفلسطين تعتبر قاعدة حيوية فى مواصلاتها الامبراطورية — قد يحمل على نوع من الضعف والتسليم ويعرض هيبتها الاستعمارية للانتقاض. وقد رأينا المندوب السامى فى فلسطين يرد على مطالبة العرب بوقف الهجرة الصهيونية باصدار تصريح جديد بمهاجرة أربعة آلاف وخمسمائة عائلة يهودية، متجاهلاً بذلك أن طغيان الهجرة من أهم أسباب الثورة القائمة. هذا إلى أن نفوذ اليهودية فى انكلترا يعمل عمله؛ وقد رأينا زعيم الصهيونية الدكتور وزمان يسارع بالعودة من فلسطين إلى انكلترا منذ بدء الثورة الفلسطينية؛ وقد كان لمساعى هذا الزعيم دائما أثرها فى موقف السياسة البريطانية نحو فلسطين ونحو رعاية الوطن القومى اليهودى

على أن السياسة البريطانية لا يمكن أن تحتفظ طويلاً بهذا الموقف الشاذ؛ ففلسطين تقف اليوم موقف الحسم، وتصر على أن تبحث مطالبها وأمانيها بعين الانصاف، ومن ورائها عطف الأمم العربية والاسلامية كلها؛ وانكلترا تقدر بلا ريب مدى هذا العطف وآثاره؛ وبحث القضية الفلسطينية بروح الانصاف لا يمكن أن يعتبر ضعفاً أو تسليما كما يريد أن يفسره غلاة الاستعمار؛ أما الأصرار على تمكين اليهودية من أعناق فلسطين، ودفع الشعب الفلسطينى إلى منحدر التلاشى والفناء، والاكتفاء بإرسال لجان التحقيق فسياسة خطرة؛ ولا ريب أنها تعرض مركز انكلترا فى الشرق الأدنى، وفى العالم الاسلامى كله لأشد الأخطار

* * *

قصـــة المكروب

كيف كشفه رجاله

ترجمة الدكتور أحمد زكى

الحصانة واليهودى الأفّاق

— ١ —

ما أغرب هذا العلم علمَ المكروبات، وما أعجب ما كان من أمره فى يوم وُلِد!

بدأ هذا العلمَ رجلٌ قمّاش لم يُثقف ثقافة مذكورة، ومع ذلك كان أول راءٍ رأى المكروبات، ثم جاء كيميائى فأوجد للمكروبات مكانة ذاتِ بال فى خريطة الوجود، وأرعب الناس منها وأرعد. ثم تلاه طبيب قرية، فجعل من صيادة المكروب شيئاً منظماً قارب أن يكون علماً صحيحاً. وأراد فرنسى وألمانى أن ينجوا بالأطفال من سم مكروب من أقتل المكروبات، فجزرا فى سبيل ذلك أعدادا لا تحصى من الخنازير الغينية ومن الأرانب لو تراكمت لبلغت أكواماً كالجبال. إن تاريخ صيد المكروب تاريخ ملئٌ بالخاطرات الجميلة، والايحاءات النادرة؛ ولكن به كذلك كثير من الغباوات المدهشة، والمتناقضات المجنونة. ولا يختلف تاريخ علم المكروب فى هذا عن تاريخ علم الحصانة immunity وهو العلم الذى لا يزال ناشئاً، وبه تتفسر لنا مناعة الانسان من المكروب، فالذى بدأ هذا العلم، على نحوٍ ما، هو رجلٌ باحث كثير الاهتياج، قليل الاتزان، ذو جِنّة تعاوده كثيراً

وكان هذا الرجل يهودياً يدعى إيلى متشنيكوف Elie Metchnikoff، ولد فى جنوب روسيا عام ١٨٤٥، وقبل أن يبلغ العشرين قال لنفسه: «إنى ذو غيرة وذو مقدرة، وقد حبتنى الطبيعة مواهب راجحة، وأنا أطمح أن أكون بحاثاً كبيراً»

وذهب هذا الشاب إلى جامعة خركوف Kharkoff، واستعار من بعض أساتذته مجهراً، وكانت المجاهر عندئذ نادرة، وأخذ ينظر فيها نظرات لم تكن دائما بينة واضحة، ومع هذا قام على

أثرها فكتب مقالات علمية طويلة ، وذلك قبل أن يعلم ما العلم وما كنهه وما جوهره ، وغاب أشهراً عن فصول الجامعة وعن دروسها ؛ ولم يكن لِلَّعب غاب ولكن للقراءة ؛ ولم تكن قراءة القصص والنوادر ، ولكن قراءة مؤلفات كبيرة في العلم مثل كتاب : « بلّورات لأجسام زلالية » ، وغير ذلك كان يقرأ كُتَيِّبات ونشرات لو اطّلع عليها رجال الأمن لنفوه إلى مناجم سيبريا ؛ وكان يسهر الليالي ، ويكرع جالونات من الشاى ، ويخطب رفقاءه ، وهم أجدادُ بلاشفةِ اليوم ، خُطباً هائجة صاخبة جاحدة تنكر وجود الله حتى لقبوه « لا إلّـه » ، وجاءت خاتمة السنة فقام إلى دروسه التي تراكمت في الأشهر السابقة لحفظها عن ظهر قلب ؛ وكانت له ذاكرة أشبه شيء باسطوانات الفونوغرافات منها بالعقل الانساني ، فجاز الامتحان وظهرت النتيجة فكتب إلى أهله يقول لهم إنه نجح وكان أول الناجحين ، وفوق ذلك نال وساماً من ذهب

وكان متشينيكوف شديد العجلة في أمره نفسه ، يودّ أن يسبق الزمن بها ، ويحملها على أشياء قبل أن يأتي أوانها . بعث بالمقالات العلمية وهو لا يزال في عقده الثاني ، وكان يكتبها في سرعة العالم بعد ساعات قليلة من تحرير مجهره على بقة أو خنفساء ، ويصبح الصباح فيعود إلى مجهره ليراها مرة أخرى ، فاذا به يرى ما لم يكن رآه بالأمس فيسرع بالكتابة إلى رئيس تحرير المجلة يقول له : « أرجو ألا تنشر مقالة الأمس ، فقد وجدت نفسى مخطئاً . وأحياناً كان يرسل المقالة فلا تنشرها المجلة فيثور ويغضب ويصيح : « إن الدنيا تجهل قدرى » ، ويذهب إلى غرفته يتأهب للموت وهو يصفُر صفير اليائس الحزين : « لو كنت في صِفَر الحلَزون ، لطويت جسمى في صدفى »[1]

بكى وناح لأن أساتذته والناس لم يَقْدِروا مواهبه حق قدرها ، ولكن لم يَفتّ ذلك في عضده ولم يستطع أن يضعضع من أمله ، فنسى ما كان انتواه من قتل نفسه ، ونسى ما كان من ضيقه ووجع رأسه ، أنساه إياه حبه القيم لكل شيء حىّ . ولكنه أفسد على نفسه الفرصة كلما أمكنته من إجراء بحث على قيمّ متواصل ، ذلك بأنه كان دائماً يشاجر أساتذته وينازع معلميه . وأخيراً كتب إلى أمه ، وكانت تؤمن به وتعطف عليه وتفسده ، فقال لها : « إن أكبر همى أجده في دراسة البروتوبلازم Protoplasm ، في دراسة مادة الجسم الحية . . . ولكن روسيا خالية من العلم والعلماء » . وعلى هذا ذهب مسرعاً إلى جامعة فرتزبرج Würzburg بألمانيا ؛ فوجد أنه وصل قبل ابتداء العام الدراسى بستة أسابيع . فأخذ يبحث عن بعض الطلبة الروسيين فوجدهم ، ولكنهم لم يرحبوا به لأنه كان يهودياً ، فضاقت بنفسه مسالك الحياة ، وعاد راجعاً إلى بلده وهو يعتزم الموت . وكان في حقيبته بضعة من الكتب التي اقتناها ، وكان من بينها كتاب أصل الأجناس Origin of Species لصاحبه دارون ، وكان خرج إلى السوق حديثاً ، فقرأه ، وفي جرعة عقلية واحدة بلع كل الذى فيه ، وصار من أنصار نظرية النشوء الشديدين . ومن هذا الوقت دان بهذه النظرية إلى أن تهيأ له الوقت ليصطنع لنفسه من العلم ديانات جديدة يدين بها

نسى ما اختطه لهلاك نفسه ، وبدأ يخطط الخطط لأبحاث في هذه النظرية الجديدة ، ورقد الليل ولكن لم ينمه لأنه أخذ يتخيل الخيالات عن ساحات واسعة قد امتلأت بطوائف الأجناس الحيوانية من الصرصور الصغير إلى الفيل الكبير ، ثم تخيل إلى جانبها حيا بالغ الصغر هو جدها الكبير الأبعد

وكان هذا الانقلاب بدء حياة متشينيكوف الحق ، فانه عندئذ خرج يحاج ويشاجر من معمل إلى معمل ، ومن روسيا إلى ألمانيا إلى إيطاليا ، ومن إيطاليا إلى جزائر هيليجو لاند Heligoland وأدام هذا الشجار والحجاج عشر سنوات ، واشتغل في بحث نشأة الديدان ، واتهم لوكارت Leucart عالم الحيوان العلاّمة بسرقة بضاعته ؛ وكانت أصابعه لا تحسن العمل الدقيق ، وكان لا يرجى لها أن تتعلم إحسانه ، فذات مرة جاء بعظاية وضرب فيها بكلتا يديه ضربة المستقتل اليائس يريد أن يكشف في بطنها عن سرّ النشوء ، فلما أعجزه أن يعلم منه شيئاً رمى بالذى تبقى من الزاحفة عبر المعمل . كان متشينيكوف على نقيض كوخ ولوفن هوك ، فهذان الرجلان العظيمان عرفا كيف يتلطفان إلى الطبيعة فيسألانها عما يريدان وفازا منها بالجواب . أما صاحبنا فقرأ كتباً في نظرية النشوء ، فألهمته وحمسته ، فآمن بها

وأعلن إيمانه مسموعاً عالياً ، ثم جاء بعد ذلك يعالج التجارب لا ليمتحن بها عقيدته الجديدة ، بل ليفرضها على الطبيعة فرضاً ، وليدسّها في حلقها لتبلعها اغتصاباً . ولكن العجيب أنه أصاب

(١) هذه أغنية معروفة ، والحلزون دويبة من اللافقريات الرخوة تحمل فوق ظهرها صدفها وفيه تنكمش عندما تريد Snail

فى هذا أحياناً ، وعندئذ كانت إصاباته ذات خطر كبير . ولم يكن عندئذ يعلم شيئاً عن المكروب ، أعنى فى آخر العقد الثامن من القرن الماضى . ولكن الحاحه كالمجنون فى إثبات أن الأصلح هو الأبقى ، وأن الفاسد للذهاب ، هو الذى ساقه إلى تلك النظرية البديعة الخلابة نظرية الحصانة التى تصف كيف يصدّ الانسان هجمات الفاتكات من المكروب . وهى نظرية صحيح بعضها برغم مظهرها الخيالىّ الذى لا يدعو إلى التطامن إليها

كانت السنوات الخمس والثلاثون الأولى من حياته كثيرة الاضطراب والصخب أشرف فيها على المهالك ، ولكنه سار من طريقها المخْطر على جسر ضيق نفذ به فى آخر الأمر إلى الشهرة الواسعة التى كانت تنتظره على شواطىء صقلية فى البحر الأبيض المتوسط . وتزوج قبل أن يبلغ الثالثة والعشرين لُدْميلا فودورفتشى Ludmilla Feodoaovitch وكانت مسلولة حتى كان لابد من حملها فى كرسيّها إلى حيث يعقد زواجها . وتبع هذا الزواجَ أربع سنوات مضت عليهما فى أبأس حال وأكثرها استدراراً للرحمة ، قضياها يجرّ بعضهما بعضاً عَبْر أوربا يبحثان عسى أن يجدا لذات الصدر دواء . وفى أثناء ذلك ، وفى أثناء تمريضه هذه الزوجة العليلة المسكينة تمريض عطوف حنان توتّر عصبه وثقل قلبه كان يختطف سويعات يجرى فيها تجارب يدْرس بها تنشّؤ بقَ النبات والأسفنجيات والدود والعقارب ، يريد بذلك أن يقع على اكتشاف يهز الناس فتأتيه من ورائه أستاذيّة تدرّ عليه مالاً كثيراً . وهمس لنفسه وهو يكتب رسالاته العلمية ، وهمس لها وهو يبعث بالرسل ويدفع بالوسائط ويختط الخطط ويحاور ويداور فى طلب الوظيفة ، قال : « إن البقاء ليس للأصلح ؛ وليس هو للأكثر طيبة وخيراً ، وإنما هو للأشد مكراً وللأنكى خبثاً

وماتت لُدْميلا . وكانت قضت أيامها الأخيرة تتخلص من آلامها بالمرفين ، فاقتبس زوجها عادة المرفين منها ، ولما نفض تراب قبرها عن يديه قام عنه هائماً يضرب فى الأرض ، واخترق أسبانيا متوجهاً الى جنيفا وهو يزيد كل يوم مقدار العقار الذى يتعاطاه ، وساءت عيناه أثناء ذلك وآلمته ألماً كبيراً . وما الباحث فى الطبيعة إذا لم يكن له عينان تبصران ؟ وصرخ : « ما الفائدة من هذا العيش ! » ، وأخذ جرعة كبيرة من المرفين أيقن أنها لا بد قاتلته ، ولكنها كانت أكبر مما تحتمله المعدة فقاءها . وصرخ مرة أخرى : « ما نفع هذه الحياة ! » ، واستحم استحامة ساخنة وخرج منها يتعرض عامداً الى الهواء البارد الطلق عسى أن تصيبه من ذلك نيمونيا فتذهب بحياته ، ولكن يظهر أن الآلهة الحكيمة المزاحة التى تقوم بتجهيز البحاث لهذا الكوكب شاءت له غير الذى شاءه لنفسه ، أبقت عليه لحاجة فى نفسها . وفى هذه الليلة عينها ساقته رجلاه الى حيث أبصر طائفة من الحشرات كالغمام تدور وتدوّم حول لهب مصباح . فاستوقفه هذا المنظر ووقف يتأمله بتعجب ظاهر وفم مفغور . صاح لنفسه : « إن هذه الحشرات لا تعيش إلا ساعات قليلة ، فليت شعرى كيف يستفاد بها لدرس نظرية بقاء الأصلح ؟ » . وبهذا عاد فوصل من جديد تجاربه المقطوعة

حزن متشينيكوف على زوجه حزناً شديداً ، ووجد عليها وجداً مبرحا ، ولكن الأيام كانت سريعة فى شفاء الوجد ولأم الجرح العميق . وتعين أستاذا فى جامعة أودسّا ، وفى هذه الجامعة علّم نظرية بقاء الأصلح ، وفيها وَضحَ علمه ، وارتفع قدره ، وزاد فى الناس إجلاله . ولم تمض سنتان على وفاة زوجته الأولى حتى التقى بفتاة فى الخامسة عشرة ، فى وجهها بشاشة ، وفى قلبها ذكاء . وكان اسمها أولجا ، وكانت ابنة رجل ذى يسار ، ونظرت اليه ، فأسرّت عينها إلى قلبها ، قالت : « إن وجهه كوجه المسيح فى قدسيته ، لونه امتقاع ، وعليه سحابة من كآبة » . ولم يمض طويل من الزمن حتى تزوجها

ومنذ هذا الزواج هدأت حياته كثيرا ، وقلت نداءاته لعزرائيل كثيرا ، وأخذت بداه تتعلمان اجراء التجارب لتلحق بعقله الذى نضج قبل أوانه ، وأصبح العلم له ديناً ، وتعلّق به إيماناً ؛ وأدخله فى كل أمر من أمور عيشه فى تحمس لم يسمع بمثله ، وأخذ بيد أولجا يُدخلها فى هذا الدين علماً وفناً ، وعلّمها حتى علم الزواج وفنه ! وعبدت فيه ذلك اليقين المغرق الذى أعطاه العلم اياه ، ولو أنها قالت بعد ذلك بسنوات كثيرة : « إن الطريقة العلمية التى طبقها زوجى فى غير هوادة على كل شىء جاز ألا تخلق لنا إلا شراً فى تلك الساعة الخطرة من حياتنا ، والنفس دقيقة الحس فى انتقالها من حال الى حال

(يتبع) أحمد زكى

للتاريخ السياسي :

٤ – اليوم السابع من مارس

ضربة مسرحية في برلين

للدكتور يوسف هيكل

موقف دول لوكارنو وقرار مجلس العصبة

لنر الآن ماذا كان رد الفعل في عواصم دول لوكارنو ، وموقف فرنسا وبريطانيا وبلجيكا وإيطاليا إزاء حوادث ٧ مارس والمذكرة الألمانية :

كان وقع قرار ٧ مارس شديداً على باريس ، ولقد أهاج الدوائر الرسمية والرأي العام ، برغم أن هذه الحوادث كانت في الحسبان ، وأول عمل احتياطي قامت به حكومة باريس هو إبقاء الجنود الذين كانوا على أهبة الذهاب إلى بيوتهم تحت السلاح إلى أجل غير مسمى ، ثم إرسال جنود وقوى حربية لتحتل القلاع الواقعة على الحدود الألمانية

وفي الساعة السابعة والنصف من مساء يوم الأحد الموافق ٨ مارس ألقى مسيو سارو ، رئيس الوزارة الفرنسية ، خطاباً في الراديو على الشعب الفرنسي ، عرض فيه العلاقات الفرنسية الألمانية منذ الحرب والجهود التي بذلتها فرنسا للتوفيق بين الجارتين . . . وقد صرح بأن الحكومة عازمة على المحافظة على معاهدة لوكارنو التي هي شرط أساسي لسلامة فرنسا . . وأنها ترفض منهاج الهر هتلر لسببين : أولهما أن ألمانيا قدمت مثلين في تمزيق المعاهدات بقرار منها وحدها خلال سنة واحدة ، وهذا العمل المنافي للحقوق الدولية يدعو إلى نزع الثقة من المعاهدات المقبلة التي تعقد معها . والسبب الثاني وهو أشد فظاعة ، كون ألمانيا قد أرسلت قوى عسكرية إلى أراضي الرين خلافاً لكل قانون دون أن تعلم الدول بعزمها قبل تنفيذه ، ودون أن تفكر في المفاوضة مع دول لوكارنو للوصول إلى حل مرض ، بل جابهت هذه الدول « بالأمر الواقع » fait accompli في أبشع وأفظع صوره . وقال بأن فرنسا سترفع الدعوى إلى مجلس عصبة الأمم ، وأنها ستضع قواها المنوية والمادية تحت تصرف مؤسسة جنيف ...

وفي يوم الثلاثاء الموافق ١٠ مارس ألقى مسيو سارو « رسالة » الحكومة Message في مجلس النواب ، ومسيو فلاندان في مجلس الشيوخ ، وعرضت الحكومة فيها أعمال الحكومة النازية المخالفة للحقوق الدولية ، وتمزيقها المعاهدات المقدسة . . . وأبان بأن عمل الهر هتلر لا يضع على بساط البحث مشكلة الرين ، بل مسألة حرمة المعاهدات والعلاقات الدولية وكيان عصبة الأمم . وقال إنه إن أخذت كل أمة ترفض المعاهدات حسب إرادتها فلا سلام ولا حرمة للقانون ، بل تحل محل الحق القوة المادية ...

وفي هذا الخطاب هدأت حكومة باريس ثورتها ، ولطفت رفضها البات في المفاوضات ، وقالت إنها لا ترفض العمل لحل المشاكل الحالية ولتحسين العلاقات الفرنسية الألمانية ، غير أن فرنسا لا تستطيع المفاوضة تحت ضغط القوة التي تمزق المعاهدات الموقع عليها عن طيب خاطر

وأخذت الصحافة تندد بأعمال الهر هتلر وتبين الخطر الذي سيواجه أوربا نتيجة لعدم احترام المعاهدات ... وتلوم بريطانيا لاتباعها اللين مع ألمانيا ولسايرتها لها ...

أما في لندن ، فقد أخبر مستر ايدن السفير الألماني عندما تسلم منه مذكرة بأن حكومة جلالته غير راضية عن انتهاك ألمانيا حرمة المعاهدات . وقال في خطابه الذي ألقاه في مجلس العموم في ٩ مارس بعد أن أبان مخالفة عمل الهر هتلر للحقوق الدولية ، والخطر الذي ينجم عن اتباع مثل هذه السياسة ، إن عمل ألمانيا لا يعد تهديداً ، غير أن الحكومة البريطانية تصرح بأنها ستكون في صف فرنسا وبلجيكا فيما إذا هاجمت ألمانيا إحداها .....

وغريب أن يقول مستر ايدن بأن عمل ألمانيا لا يعد تهديدا ، ومعاهدة فرساي صريحة العبارة في قولها (البند ٤٤) بأنه في الحالة التي تخالف فيها ألمانيا مضمون البندين ٤٢ و ٤٣ « تعتبر قائمة بعمل عدائي نحو الدول الموقعة على هذه المعاهدة ومحاولة تعكير صفو السلام »

ولكي يتثبت مستر بلدوين من أن الأزمة الحالية سوف لا تقود بريطانيا إلى تطبيق سياسة « العقوبات » الاقتصادية على

ألمـانيا أصر على أن يوافق اللورد هاليفاكس مستر ايدن في جميع اجتماعاته التي لها عـلاقة بحوادث الرين ، واللورد هاليفاكس صديق ألمـانيا الحميم ...

وكان وقع حوادث ٧ مارس في الدوائر السياسية اللندنية نقيض ما كان عليه في باريس . وإن كان ساسة لندن غير راضين عن الطريقة التي اتبعها هتلر في الوصول إلى احتلال أراضي الرين ، غير أنهم وافقوا ضمناً على نتيجة عمله ، حتى أن بعضهم صرح بذلك ، والبعض الآخر أخذ يقول بأن عمل هتلر ما هو إلا فرصة مناسبة لحل المشكلة الأوربية ، وخصوصاً لازالة كل خلاف بين ألمـانيا وفرنسا ! وكانت الصحافة ، وعلى رأسها « التيمس » تقول بهذا الرأي . ولا عجب في ذلك ، إذ أن الرأي العام في بريطانيا ناقم على معاهدة لوكارنو ، حتى أنها كانت سبباً في ضياع شهرة السير استن شمبرلين من جهة ، ولأن حكومة لندن تريد انعاش ألمـانيا وادخالها ضمن حلقة الدول ذات المكانة في السياسة الدولية ، لـكي تتخذ منها سنداً ضد فرنسا التي أخذت تعاكس بريطانيا معاكسة ظاهرة في سياستها الخارجية ، من جهة ثانية ، ولقد رأينا الهر هتلر عرف كيف يستفيد من هذا الشعور البريطاني ويستغله

وموقف بلجيكا يشابه موقف فرنسا : فالرأي في الدوائر السياسية والرأي العام ضد حوادث ٧ مارس على خط مستقيم . لا سيما وأن بلجيكا لم تكن عضواً في المعاهدة الروسية الفرنسية ، التي هي ، في رأي الهر هتلر ، سبب زوال لوكارنو ...

أما إيطاليا فلزمت الصمت ، ولم تبد صحافتها رأياً في ذلك . على أن ممثل إيطاليا صرح بأن حكومته تحترم لوكارنو ، غير أن ظروفها الحالية ترغمها على التحفظ ...

* * *

رفعت فرنسا وبلجيكا وحدهما الدعوى إلى مجلس عصبة الأمم ، في حين أن معاهدة لوكارنو توجب ذلك على جميع الموقعين عليها ، إذ هي تعتبر احتـلال أراضي الرين عملا عدائياً نحو كل من المتعاهدين ...

وكان مكان اجتماع مجلس العصبة عاصمة بريطانيا حسب اقتراح مستر إيدن . وعقدت الجلسة الأولى الساعة ١١ من صبـاح يوم السبت التالي لحوادث ٧ مارس ، في قصر « سنت جيمس » وكانت سرية ، وقال مستر إيدن في هذه الجلسة إنه يظهر له من المادة ١٧ من صك العصبة وجوب تمثيل ألمانيا في جلسات مجلس العصبة . وبعد جدال حول هذا التفسير للمادة ١٧ تقرر أن يرسل سكرتير مجلس العصبة برقيـة إلى الهر هتلر يقول فيها بأن « . . . مجلس العصبة يدعو حكومة ألمانيا بصفتها عضواً في معاهدة لوكارنو لتشترك في فحص مجلس العصبة للدعوى التي رفعتها حكومتا فرنسا وبلجيكا ... »

ولقد ذهب مساء يوم السبت السير اريك فيبس ، سفير بريطانيا في برلين لمقابلة بارون فون نيرات وزير خارجية ألمانيا ليعلمه بأن بريطانيا تعلق أهمية كبرى على قبول ألمانيا دعوة مجلس العصبة . وفي صباح الأحد زار السير إريك فيبس « الزعيم » وأوقفه على رأي حكومة لندن

وبعد أن استشار الهر هتلر مستشاريه أرسل إلى سكرتير العصبة يخبره بأن حكومة ألمانيا تقبل الدعوة مبدئياً على شرطين :

أولهما : أن يكون لممثل حكومة ألمانيا حق المساواة مع بقية ممثلي أعضاء المجلس في المرافعات وقرارات المجلس

وثانيهما : أن تتسلم حكومة ألمانيا تأكيداً قطعياً بأن الدول المعنية — Concerned — مستعدة للدخول حالا — forthwith — في المفاوضة على « منهاج السلام الألماني » ؛ الذي يعتبرونه (أي الدول) وإعادة السيادة الألمـانية في أراضي الرين كخطوة سياسية متحدة ، وجزأين متلازمين لا يمكن فصل أحدهما عن الآخر

واعتبرت بريطانيا الشرط الأول معقولا ومقبولا ، وأن عزم بريطانيا كان ولا يزال أن تكون ألمانيا في لندن على قدم المساواة مع الدول الأخرى . وأما الشرط الثاني فقد أغضب الدوائر السياسية وأثار الصحافة على حكومة برلين ، وكتبت مقالات رئيسية ناقشت فيها أعمال هتلر وجوابه الأخير ، حتى أن لهجة « التيمس » كانت غير مألوفة . ومما قالته في عددها الصادر في ١٠ مارس إنه يجب التذكير وإعادة القول بأن عمل ألمانيا كان مهيناً في أسلوبه ، و « إن دولة غير شريفة قادرة دائماً وأبداً على أعمال غير شريفة » . . وأنه حجر عثرة محال قبوله ، ولا يمكن لفرنسا احتماله

وفي الواقع لقد أثار جواب الهر هتلر الرأي العام الفرنسي وأخذت الصحافة تهاجمه مهاجمة عنيفة ، واضعة اللوم كله على بريطانيا لمساعدتها ألمانيا وتشجيعها لهـا . ولقد صرح مسيو

فلاندان لمراسلي الصحف بأنه يرفض طلب الهر هتلر لسبب واحد فقط: هو أنه قدم لندن ليسجل الاعتداء على لوكارنو؛ وهو لا يريد مناقشة أي شيء غير هذا، حتى وإن كلفه ذلك مغادرة لندن وترك مجلس العصبة

ولما رأى الهر هتلر أن الرأي العام ناقم على جوابه، خشي خسران عطفه عليه، فعمل على تخفيف وقع جوابه، فأرسل إلى حكومة لندن يخبرها بأن خطأ قد حصل في ترجمة جوابه؛ إذ أن المترجم قد ترجم كلمة « Alsbald » بكلمة « forthwith » أي « حالا » في حين أنه يجب ترجمتها بعبارة « in due course » أي « في أقرب وقت » ...

وتلى تلك الجلسة السرية أول جلسة علنية للدورة (٩١) غير العادية لمجلس العصبة الساعة ١١ والدقيقة ٤٥ من يوم السبت الموافق ١٤ مارس برياسة مستر بروس Bruce . وجلس عن يمينه مسيو فلاندان وسنيور جراندي، وعن يساره مستر افينول ومستر إيدن، والرفيق ليتفينوف وكلونيل بيك، وبقية الأعضاء على الجانبين

وبعد أن قرأ الرئيس اللائحة التي قدمتها فرنسا وبلجيكا، قام مستر إيدن ورحب بأعضاء المجلس بالنيابة عن الحكومة البريطانية وقال إنه يترك الكلام إلى ممثلي فرنسا وبلجيكا، وسيبدي وجهة نظر بريطانيا في وقت آخر

ثم قام مسيو فلاندان وقرأ بيان فرنسا بصوت هادىء وجلي، وقال بأن الواجب هو الذي دعا فرنسا إلى رفع الدعوى إلى مجلس العصبة لا حقها في ذلك، لأن لفرنسا الحق في اتخاذ إجراءات مادية وعسكرية لاعادة كل شيء إلى ما كان عليه، غير أنها فضلت ألا تزيد في تعقيد المشكلة، بل تريد الوصول إلى حل سلمي ومرضي؛ وهي تثق في عدالة مجلس العصبة، وتطلب منه أن يضع قراراً مبينة فيه الاجراءات الفعالة التي يجب اتخاذها لوضع الحق في نصابه، وقال إن عمل ألمانيا يضع السلام وكيان عصبة الأمم في خطر عظيم ... وأبان بأن معاهدة فرساي تعتبر احتلال أراضي الرين عملا عدائياً، ومعاهدة لوكارنو تعتبره تعدياً على المعاهدة؛ وإن فرنسا تطلب تسجيل هذا التعدي في السجل الرسمي ...

(يتبع) يوسف هيكل

المتنبي يعشـــق ... !

للأستاذ محمد سعيد العريان

« كل أدباء العربية على أن المتنبي نشأ نشأة السواد من أهل الكوفة، وأن حياة الكفاح شغلته وملأت تاريخه حتى لم يكن فيها من الفراغ ما يهيئ له أن يتذوق الحب فيترجم عن احساس العاشق

« ولكن صديقنا الأستاذ محمود محمد شاكر يرى رأيا غير ذاك؛ فيزعم أن المتنبي علوي منكور النسب، وأنه كانت له في بلاط سيف الدولة قصة غرام بينه وبين خولة أخت الأمير، كان لها أثر أي أثر في شعره وحياته من بعد[1]

« وهو رأي جديد في تاريخ المتنبي، أحسب أن طائفة كبيرة من أدبائنا لا تطمئن إليه ولا تأخذ به، حرصا على التقاليد ... أو حفاظا على القديم وحسب ...

« أما هذا الرأي عندي فهذه قصته، تجلو غامضه، وتؤلف غريبه، وتكشف عنه على ضوء من الفن يهيئ للباحث المتصف أن يجادل أو يقتنع ... »

مضى الفتى العلويّ الثائر المتوثب (أبو الطيب المتنبي)، تتقاذفه الفلوات من غربة إلى غربة، وتتراماه الأحداث من بلد إلى بلد، وتنوشه من كل جانب سهام البغي والشر والحسد، ويقعد له في كل مرصدٍ كيدٌ يتربص ...

ممّن أبوك يا فتى؟ وما بلدك؟ ... وهل له أن يجيب؟

أما الأولى فمن دونها سيوفُ (الأدعياء) تنكر عليه أن يجهر بعلويته، وما له قبلٌ بأن ينازلهم فيثبت لهم ... !

وأما الأخرى ... وا أسفاه ... ! هذه جدته على الفراش تحتضر، وَحِيدَةً منقطعه فريدة، فيأبون عليه أن يدخل (الكوفة) ليتزود منها بالنظر الأخير ... :

* * *

لمن الملك اليوم؟ إنه للروم والترك والعجم، ولا سلطان لغير الروم والترك والعجم ... في العراق، وفي مصر، وفيما بين العراق ومصر ... في الشرق والغرب يبسط الأعاجم سلطانهم على الدولة العربية، فأيان يلتفت الشاعر العربي لا يجد إلا الروم. ومن أين لأبي الطيب أن يسكن إلى ذلك أو يستقر اليه؟ إنه

(١) المقتطف : يناير سنة ١٩٣٦

ليرمى ببصره إلى هنا وهناك ، فلا يرى إلا ما يحزنه ويتهاوى بآماله ؛ لقد خرج إلى الدنيا طريداً يتيا ، ينكرون عليه نسبه ، وينكرون عليه طموحه ؛ ثم ها هو ذاك وقد سلخ أربعا وثلاثين يتلفت حواليه فما تزيده النظرة إلا شعورا بالوحـدة واليُتم والغربة ... ولكن فى أعراقه يفور دم العروبة ، وفى أعصابه تنبض أمانى الشباب ، وفى نفسه تهمس ألحان الشعر

« ستكون أميراً يا أبا الطيب ، فاجمع عزيمتك على الجهاد حتى تبلغ ، فتنال منالك من (الشامتين) ، وتديل للعربية من (دولة الخدم) . . . »

وانطلق الشاعر المتوثب يطوى البيداء مطوياً على هم وألم ، وفى نفسه أحقاد تثور ، وأمانى تصطرع . . . حتى انتهى الى بنى حمدان

* * *

هنا دولة العرب ، وهنا عز العروبة ، وهنا تستقر الأمانى لتستجم للجهاد . واجتمع الشاعر العربى الثائر ، بالمجاهد العربى الظافر ؛ وانعقـدت أواصر الود بين أبى الطيب المتنبى وسيف الدولة بن حمدان . وآثره الأمير وأدناه وفتح له بابه ... فاذا هو منه كبعض أهله ... وتراءيا قلباً لقلب ، فما بينهما سر ولا دونهما حجاب ؛ وتكاشفا رأياً لرأى ، فما هما الا فكرة واحدة تسمى إلى هدف ؛ وتَنَوَّرَا الأملَ المشتركَ من بعيد ، فاذا هما على الخلوة يتذاكران الرأى ، ويتحايلان للظفر .

وصار شاعرُ الأمير صفيَّه وخليله وصاحب سرّه ، يلقاه أيان يريد بلا إذن ولا ميعاد . . . وعرفه حاجب الأمير وأهله ، وعرفته (خولةُ) بنت حمدان ، فعرفتْ رَجُلَها وعرَف ...

وقال أبو الطيب : « لله أنتِ يا ابنة المجد ! لعينيك كنت أطوى البيد وتتقاذفنى الفلوات ! »

وقالت خولة : « ومن أجلك أنتَ يا أبا الطيب ، كانت تخيَّل لىَ الأحلام ما ليس من دنياى ! »

وطوت آخر كلماتها فى ابتسامة ، وأطبق الشاعر شفتيه على كلام ؛ وقالت له عيناها . . . وقالت لها عيناه . . .

ودخل الشاعر فى تاريخ جديد . . .

* * *

وقال المتنبى لسيف الدولة : « أتُراك يا أميرى تعرف من أمرى ما يُقنعك بالرضا ... ؟ » فوعده سيف الدولة أن يُزوِّجه خولة ...

وراح الشاعر يحلم ... ثم عاد يحاول أن يلقى صاحبته فيقولَ لها وتقول له ، ولكن الباب كان محكم التَّغَلُّق ؛ فلَوَى وجهه عن بابها وفى نفسه شوقٌ وحنين ، ولكنه استمر يحلم ... !

ومضى ينشد أميره من شعره ... أذلك شعر المتنبى الثائر المتكبر ربيبِ الوحشة وطريد الفلوات ؟ أم هو الفنُّ النسوىّ البديع يهيء للشاعر مادته ويصنع له بيانه ... ؟ أسمعْتَ وسوسة القُبَل ... ؟

وسمع سيفُ الدولة وطرب ، وسمع جلساؤه فعرفوا الجرْس والرنين ؛ وهمس شاعر فى أذن صاحبه ، ومال صديق على من يليه ، وقال الخامس للسادس : « إن شاعر الأمير لعاشق ! » وامتدت للكلام أطراف وأذناب ...

وراح الشاعر ثانيةً يحاول أن يلقى صاحبته ، فاذا من دون الباب بوّاب ... وعاد إلى الأمير يستنجزه الوعد ، فاذا الأمير فى شغل عنه بالروم وحرب الروم ، فهو يستمهله إلى حين ... ورجع إلى نفسه يستلهمها الصبر فلا تلهمه ، ويستميتها على ما يجـد فلا تمينه ... ونظر حواليه فاذا عيون تنظر ، وإذا شفاهٌ تبتسم ، وإذا ألسنة فى أفواه تلجلج بكلام ...

كم يلقى العاشق من نأى الحبيب والدار قريب ... ؟

وقال الرجل لنفسه : « ما أنا والاميرَ وأختَ الأمير : إن كانت لى فما يحول بينى وبينها ؟ وإن كانت عِـدَةً بلا وفاء فما مُقامى ؟ »

وقالت له نفســه : « هوِّن عليك يا صاحبى ، لا حبٌّ بلا وجد ؛ إلا أن تكون نارٌ بلا احراق ! »

فعاد الشاعر ينتظر ويحلم ، ولكن الأيام لا تنتظر ، ومضى شهر فى أذيال شهر ، وتصرم عام وراء عام ، والشاعر العاشق على صبره يرجو ويتقى ...

وقال (أبو فراس الحمدانى) الشاعر لصاحبه : ما هذا الرجل بينى وبين خَوْلَةَ ونحن أولاد عمومة ؟ أما كفاه مجلسه من الامير ؟ أبعدَنا وأدناه ، وحرمنا وأعطاه ، وأسكتنا واستمع

اليه ؟ أفيطمع بعد ذلك فى نسب الأمير وصهره ... ؟ »

وجاءت مقالته تسعى إلى المتنبي فنالت منه ... !

« أبو فراس يطمع فى خولة ؟ ولكنها مسماةٌ علىّ ؟ أيقف بين الأمير والوفاء بما وعد أن أبا فراس من عمومته ... ؟ ومن أكون إن كان ذلك موضعى من نفس الأمير ... ؟ »

فعادت نفسه تقول : « بعض هذا يا صاحبى ، إن الحبّ حيلة الحياة ، فلست تبلغ منه بالكبرياء ما تبلغ منه بالصبر والحيلة ... ! »

ولكن العاشق المتكبر لم يستمع هذه المرة الى نفسه وهواه ؛ لقد غلبته الكبرياء فكفر بالحب ؛ وهل كان للمتنبى أن يخضع للحب أو يتضرع ... ؟

وتوزّعه العشقُ والكبرياء ، وتقاسمته عزةُ الرجل ورقة العاشق ... وغدا على مجلس الأمير ينشده ، فاذا الحب المستور يستعلن ، واذا النفس الثائرة تفور ، واذا (أنت) على لسان الشاعر المادح تعود (أنا) ، واذا هو يفتخر وكان يريد أن يمدح ..

وفهم سيفُ الدولة ما يعنى ، وفهم جلساءُ سيف الدولة ؛ ولكن حرمات الأمير الكريم ردّت الكلام الى الافواه ، فما استطاع أحد منهم أن يقول : إن فى بيت الأمير قصة غرام

ولكن (أبا العشائر الحمدانى) لم يسكت ، فأرسل غلمانه يأخذون على العاشق الجرئ طريقه ... ونجا الشاعر من كيد كان يراد ، ولكنه لم ينتقم ، وشفع للعدو عند الشاعر أنه منتسب الى الحبيب

واستيأس المتنبي ونفد صبره ، فأزمع الرحلة الى بعيد لعله أن ينسى ...

وفارق سيفَ الدولة متكبراً عزيزاً أبياً ، ولكنه خلّف قلبه وراءه ، وخلّف الأمل فى الملك والجاه والسعادة ، وأيقظته الحقيقة بعد حُلم دام تسع سنين ؛ ومضى على غير وجهٍ وقلبُه يتلفّت إلى تلك التى خلّفها وراءه ؛ وعادت تتقاذفه البلاد ، وتترامى به القفار ، يساوم للمجد ، ويجاهد للامارة ، لعله أن يعود إلى من يحب وعلى رأسه تاج ... !

ومضت سنوات ، وقلب العاشق ما ينفكّ ينبض ، وما يبرح يذكر هواه ومن أحَبّ ؛ فما ينشد شعراً إلاّ وفيه لوعة من أثر الفراق ، أو حسرة من وحشة الحبيب النائى ... .

واأسفا لمشتاقٍ بلا أمل ... تمضى لياليه بغير جديد ، وتنقضى أيامه على غير ميعاد ، مغيظاً على بعده « غيظ الأسير على القدّ ... ! »

ليت شعرى . أكان هو وحده المذب الملتاع بهذا الفراق الذى اختاره فراراً بكبريائه ... ؟

ودخل الكوفة يطلب العزاء فى الوطن الذى حرم دخوله منذ الشباب ، تتجاذبه الكبرياء والهوى ، وتتدافعه الأمانى والذكريات ، ويسترجع الماضى ويهتف بالغد . . . ولكن ما استقرت به النوى حتى جاءه النبأ ... ماتت خولة ... !

وتهاوت آمال الشاعر أملاً أملاً فما عاد يستمسك ، ونالت منه الحسرة والتفجع فانصدعت كبده . وسكت أمير شعراء العربية سنتين لا ينشد ، والشعر يترقرق دموعاً فى عينيه ويتصعّد زفرات . . . !

يا عجبا ! إن النفس لا تجيش بأبلغ الشعر إلا حين يتأبى البيان على اللسان ... !

واستنجزه الحب أن يفىَ فما تَلَبَّث . وأصابته الطعنة القاتلة بعد عام ثالث ... !

وسكت شاعر العربية الى الأبد ، ولكن الناس ما تزال تتحدث عنه بعد ألف سنة من عمر الزمان ولن تزال ...

وكتب فى تاريخ الأدب قصة غرام عجيبة ، لم يعرفها الناس إلا بعد ألف سنة ، لأن العاشق فيها كان أكبر وأعظم من أن يقول : « أنا أحب .. ! »

وظلت هذه القصة سراً فى ضمير الغيب كل هذا الزمان ، لتكون بهذا الكتمان العجيب رمزاً عجيباً لصبر هذا الشاعر العاشق : أبي الطيب المتنبي ...

محمد سعيد العريان

ضوء جديد على ناحية من الأدب العربي

اشتغال العرب بالأدب المقارن

أو ما يدعوه الفرنج « littérature comparée »

في كتاب تلخيص كتاب أرسطو في الشعر

لفيلسوف العرب أبي الوليد بن رشد *

— تلخيص وتحليل —

للأستاذ خليل هنداوي

مقدمة :

إن الانسان لولوع جداً باظهار الحقائق عن طريق المقارنة ، والمقارنة قد تكون مقارنة فرد بفرد أو شعب بشعب . أما الأولى فقد تكاد تكون شائعة في كل عهد لأنها رأس كل نقد . والأوائل لم يغمروا مثلاً امرأ القيس بما غمروه من فيض عبقريته إلا بعد أن قرنوا شاعرية غيره إلى شاعريته . والانسان مسوق بطبعه الموروث إلى مثل هذه المقارنة التي قد تكون غريزية في كل كائن يفكر ويشعر . أما المقارنة الثانية فهي حديثة النشأة ، لأن النقد لم يكن ليخطر في باله أن يقيم الأوزان بين أدباء أمتين مختلفتين ثقافة واتجاهاً وشعوراً . ومن كان يفكر في المقارنة بين شكسبير وراسين ، ودانتي وميلتون ، وبين ميزات الأدب الألماني والأدب الفرنسي ؟ وكل واحد منهم يمت بوسائله إلى أمة مستقلة في تطورها وبيئتها . ولكن الأدب — كما يبدو — له سلطان قاهر ، يرمي بالحواجز التي تفصل بين الحدود الصناعية ويقتحم في عوالم الفكر والخيال دون أن يصد اقتحامه شيء لأنه الأدب ...

وهكذا نشأت الصلات الأدبية بين الأمم إلا ما شاء ربك ! . . وربطت بين المفكرين ربطا لا يقوم على مصالح سياسية أو مطامع مادية وانما يقوم على رفع منارة الفكر واعلاء كلمة الفكر . فما أطهر هذه الرابطة لو أنها تخرج من هذا العالم غير المحدود الى العالم الذي سودته الحدود ! فتجد الأديب الفرنسي يحلل الأديب الألماني دون أن تطغى على قلبه سورة الحقد . وتجد الأديب الألماني يكتب عن الأديب الفرنسي من غير أن تغلب عليه موجدة . ذلك أن عالم الفكر سما بهما فوق عالمهما المحدود الذي غمرته الحزازات وتقطعت بين وشائجه الأسباب . فهما يتفاهمان في ذلك العالم ويصافح بعضهما بعضاً

هذا هو الأدب بالمقارنة يعمل على درس ميزات أدب كل أمة بمقارنتها مع ميزات غيرها من الأمم . وهو أدب — كما قلت — حديث الخلق ، شجع على نشره شيوع رسالة الأدب الانساني . ولعل رسالة الفلسفة كانت أسبق من الأدب الى هذه الرسالة . لأنها تنعتق من قيود العاطفة ولا تتخذ مطيتها إلا الفكر . والفكر أصلب عوداً من العاطفة . والفلسفة وحدها كانت أبعد العلوم الفكرية شيوعاً وذيوعاً في كل عصر ، تكتسبها الأمم الغالبة من الأمم المغلوبة دون أن يلحقها عار الاكتساب ، ودون أن تتحوط له . كما نقل العرب الفلسفة اليونانية بحذافيرها ، وطبقوها على عقائدهم الفكرية والاجتماعية ، حتى غدا اليونان أساتذة العرب في الفلسفة . أما الأدب اليوناني فلم يكتب له حظ الانتقال في كثير ولا قليل . ولعل ذلك يعود الى اختلاف الاحساس والتعبير عند الأمتين . ومن عجب الأيام أن يمتزج المنطق اليوناني مع العقل ، ويتبدل حتى يغدو جزءاً من العقل العربي . والأدب اليوناني لا يكتب له إلا الخيبة

ألم يتدارس العرب الأدب اليوناني ، كما تدارسوا الفلسفة اليونانية ؟ قد يُظن أنهم درسوا شيئاً منه وسمعوا ألحان هوميروس فيه ، ولكن ألحانه لم تطب لهم ، لأن هذه الأساطير التي يطفح بها أدبهم جاءت في العهد الذي كان يسيطر فيه المنطق اليوناني على العقل العربي ، فصموا عن هذه الألحان ولم يعيروها التفاتا . وقد يظن أن الأدب العربي الذي كانت معجزة البلاغة منه كان سيد نفسه ، لا يميل الى اقتباس قواعد البلاغة من غيره ، وما

---

* قد وقعنا على مقالات متفرقة من هذا الكتاب النفيس اعتمدنا عليها في دراستنا هذه . فنرجو الرسالة أن تحيطنا علما بهذا الكتاب وحبذا لو تعمل لجنة التأليف والترجمة والنشر على نشر هذا الأثر الكريم

(الرسالة) تلخيص كتاب أرسطو في الشعر لابن رشد طبع في مدينة فلورنسه سنة ١٨٧٢ ووقف على طبعه (فوسطو لارينيو) ومنه نسخة في الخزانة الزكية تحت رقم ١١٠٤

فوق بلاغة الكتاب بلاغة . وقد يُظن — وأرجح هذا — أن العرب طووا الأدب اليونانى — اعتمادا على الظن الثانى — ولم يلجوا فيه ، فلم ينمُ لهم ذلك الذوق اليونانى الذى يستطيع أن يحس لذة فهم وعبقريتهم كما يُحس أهله ؛ وبذلك طغا العقل اليونانى على العرب . أما أدبه فلم يكن له فى الدائرة نصيب

على أن هذا الأدب الذى لم يترك له أثراً فى الأدب العربى قد شغل بعض أذهان رجال من العرب ؛ شغلها عن طريق الفلسفة لا عن طريق الأدب . فابن رشد والفارابى قد ناقشا الشعر اليونانى لا بالطريقة الفنية التى ينبغى لصاحبها أن يتبعها ويتخذ لها السبل المختلفة فى نفسها ، وإنما ناقشاه بالطريقة التى اتبعها أرسطو . فلولا أرسطو لم يتصد ابن رشد والفارابى للشعر اليونانى ، فهما فى ذلك متبعان لا مبتدعان . فاذا أثنى ابن رشد على هوميروس فهو لم يثن بلسان نفسه وفن نفسه ، وإنما يثنى لأن أرسطو أثنى عليه . وسبب ذلك واضح ، لأنهما قرآ تحليل أرسطو لهوميروس ولم يقرآ لهوميروس نفسه . وبذلك ظل الأدب اليونانى بعيدا عنهما . وبالرغم من ذلك نرى ابن رشد قد استطاع أن يدرس قواعد شعرهم ويفيد من تلك القواعد ويعمل على تطبيقها فى آداب أمته . وعمله هـذا هو ما نريد منه « الأدب بالمقارنة » وهذه المقارنة برغم نقصها الفنى جاءت مقارنة حسنة فى بابها ، مبتدعة وقتها . ألقت على الأدب العربى ضوء دراسة جديدة . على أن أدباء العرب الذين وقفوا على هذه المقارنة وشعروا بهذا التفاوت لم يجدوا فى أنفسهم ما يحملهم على مناقشة هذه القواعد والاستفادة منها ، وقد رأوا ما حل باخوانهم الفلاسفة من الوشايات والمكائد التى كانت تنصب لهم ، وألوان الاضطهاد الذى نزل عليهم . أضف الى ذلك أن الألحان الوصفية والعاطفية فى الشعر اليونانى كانت تتمشى فى تضاعيفها العقيدة الوثنية والآلهة الكثيرة ، والعرب كانوا شديدى الغيرة على هذا الواحد زهوا به على الأمم ، فصرفتهم الأساطير عن تذوق ما فى الأساطير

تذوق هذان الرجلان بعض روائع الأدب اليونانى ولكن طبيعتهما الأدبية لم تكن لتخول لهما أن يكونا زعيمى مدرسة فى الأدب جديدة ، فلم يخرج تأثيرهما عما اختصا به . وهيهات أن يصنع الفيلسوف ما يصنعه الأديب فى عالم أدبه . فلو أن ابن الرومى مثلاً تذوق هذه الروائع إلى حد بعيد لفعل أكثر مما فعل ، ولخلق للشعر أخيلة أخرى ونماذج أخرى ، ولكن ابن رشد ماعسى يستطيع أن يعمل وهو ليس بزعيم مدرسة أدبية ؛ إنه يجادل ويحدد ويهدى إلى مناهج ومناهج ولكنه لا يخلق شيئاً

إن فضل ابن رشد على الأدب العربى فى هذا الكتاب لفضل عظيم ، لأنه يدل على العربى الأول الذى كتب عن الأدب بطريق المقارنة ، ووفق فى هذه المقارنة كثيراً ؛ ويدل بعد ذلك على أن العرب جربوا أن يدرسوا الآداب الأجنبية ليستفيدوا ويفيدوا من قواعدها ، وإن دراستنا — اليوم — للأدب الأجنبى أكثر ضرورة منها بالأمس ، بعد أن امتزجت عوالم الفكر واتحدت مناهج الأدب ، وأصبح لا يليق بنا أن نترك الأدب العربى محصوراً فى عزلته بحجة صيانته ووقايته . وما الذى يخشى عليه ؟ وإنما صيانته ووقايته فى تعريضه للهواء والنور لا فى حجبه عنهما ، وفى تقريبه من الآداب العالية حتى يساهم معها فى تأدية رسالتها لا فى تنفيره منها وتنفيرها منه ، على أن يبقى أدبنا محتفظاً بألوانه ، ويبقى أدبنا عاملاً على ابدائها لا على اخفائها ؛ وبهذا نحقق غاية من غايات الأدب ، ونفتح لنا زاوية فى عمارة الأدب ، ونكمل الخطوة الأولى التى خطاها الأوائل ولم يكملوها

غرض الكتاب وغرض الشعر :

وقعت مصادفة على مقالات منثورة من هذا الكتاب ، وهى مقالات لا تكاد تؤلف المصنف كله ، وانما وجدت أنها تعطى فكرة عامة عن الكتاب ومنهج صاحبه ومترجمه فيه . وقد بينت أن المترجم انما عنى به لأنه أثر من آثار أرسطو ، ولأن قواعده فى الشعر ذهبت قوانين عامة ، لأن أرسطو الجبار الذى أراد أن يفرض سلطان العقل على كل سلطان أراد أن يوحد مملكة الشعر ويمسك على الاحساس كما أمسك على العقل ، جاهلاً أن الفرق بين هاتين المملكتين مملكة الاحساس ومملكة العقل فرق كبير . ولكن الرجل استدرك وزعم أنه يذكر قوانين عامة للشعر ، وهو لا يخوض فى تولد الاحساس وملاءمة التعبير عن الاحساس ، لأن هذا مما يتفاوت فيه العباقرة أنفسهم . فألف هذا الكتاب ليكون له كتاب فى الشعر كما ترك كتاباً فى الخطابة والموسيقى ،

ولقد انتصر هذا العقل الى حد كبير فى هذه الميادين التى تختلف عن ميدانه الذى خلق له ، والتى لم يكن له مفر منها ليستطيع أن يمثل حق التمثيل ثقافة عصره . ولقــد استطاع الى حد بعيد أن يكسو هذه الأشـياء النافرة عنه بأردية عقله وتفكيره ، فتبيت تقرأ الشعر فـكراً والتصوير تفكيراً . ولم لا ينتصر وقد أدرك بمين التأمل عبقرية هوميروس وأثنى عليه الثناء الجميل ؟ وكيف يوفق الناقد بين رجلين خلدت الطبيعة هذا بعقله وذاك بقلبه ؟

كتب أرسطو كتابه عن الشعر لا كما يريد الشعر لأن أرسطو مكبل بعقله مقتحم بمنطقه . فالأقيسة والاسطقسات والبراهين لا تـكاد تفارق ما أراد منه أن يكون قوانين عامة للشعر ، فجاءت قوانينه بذلك قوانين جافة قاسية يغلب عليها الذهن الرياضى ، لو مشى عليهـا الشعر ذاته لجاء ممسوخاً . وجميل أن تدخل الفلسفة الشعر بشرط أن تتنازل كثيراً عن أقيستها حتى يمكنها أن تتذوق الشعر

تناول ابن رشد هذا الـكتاب وترجمه[1] وتصرف فيه كثيراً وأحسن فى هذا التصرف كثيراً ، فانه استغنى عن النماذج اليونانية التى يستشهد بها المؤلف وأحل محلها نماذج عربية أحسن انتقاءها واصطفاءها ودلت على ثقافة أدبية عالية فى ابن رشد لا تقل قيمة عن بقية الثقافات التى يتضلع بها الفيلسوف . ولـكن عيب الترجمة فى أن ابن رشد طوى كل النماذج اليونانية ، ومن حقه أن يأتى بها ويضع ازاءها ما جاء به من نماذج العرب لتكون الترجمة والمقارنة فى الأمانة سواء ؛ وجاء تقسيمه للمقالات بحسب تقسيم أبواب الشعر عند العرب ، لأنه وقف درسه على هــذه الأبواب ، وقد أضاف اليها دراسات مختلفة فى صناعة الشعر والغاية منهـا ، وفى ألحانه وأوزانه بالنظر الى التوقيع لا الى الأعاريض ، وفى العلل المولدة للشعر ، وفى التخييلات والمعانى ، وفى كيفية التخلص الى ما يراد محاكاته وأنواع المحاكاة المقبولة وغير المقبولة ، وفى صناعة الأشعار القصصية . وكان أكثر توسعاً وتصرفاً فى درس صناعة « المديح وأجزائها » ، لأن هذه الصناعة كانت أروج أبواب الشعر فى ذلك العهــد ، وموضع التفات أكثر الشعراء ، ولسهولة المقارنة فيها ، واستخراج النماذج منها ، وقد غض عن ذكر « الهجاء » لأن قوانينه تنطبق على قوانين المديح . على أن ابن رشد ليلام لوما عنيفاً فى هــذا الباب لاهماله باب الوصف اهمالاً كلياً . ولعل درسه له كان يعمل على خلق جديد فيه . ولا ريب عندى أن أرسطو قد عالج هذا الباب الواسع عندهم معالجته لغيره من الأبواب ، ولـكن ابن رشد قد طوى كشحاً عنه كما ضرب صفحاً عن غيره

أما الغرض من هذا الـكتاب فهو — كما يقول صاحبه — « تلخيص القوانين الـكلية المشتركة لجميع الأمم أو للأكثر فى الشعر ونسبة الموجودة فى كلام العرب أو كلام غيرهم . والشعر عنــده هو أقاويل تحتاج الى وزن ولحن ، ولا يسمى الشعر إلا ما جمع الى الأقاويل التى تسمى شعراً مع الألحان كهوميروس (ولعل هــذا النوع هو ما يدعى الشعر القصصى ، وهو أول ما عرفه اليونان من ضروب الشعر) ، وقد أدخل على الصناعة الشعرية بعض أقيسة منطقية ، دأبها أن تكبل الشعر ، ولـكنها تقوّم العقل

(البقية فى العدد القادم)

خليل هنداوى

(١) ثبت أن ابن رشد لم يكن يحسن اليونانية وإنما كان ينقلها عن غيره

٤ - العجوزان

تتمة

للأستاذ مصطفى صادق الرافعي

قال محدثنا : وكنتُ قد ضِقتُ بهذه اللجاجة الفلسفية ورأيتني مُضطَغِناً على الشيخين معاً ؛ فقلت للعجوز (ن) : حدثني (رحمك الله) بشيء من قديمكما فأنتما اختصارٌ لكل مامرَّ من الحياة يُستَدَلُّ به على أصله المطوَّل إلا في الحب ... وما زلتما في جِدِّ الحديث تمبثان بي منذُ اليوم ، فقد عَدَلتُما بي إلى شأنكما ورأيكما في القديم والجديد وبقي أن أميلَ بكما ميلة الى سنة ١٨٩٥ . وقد والله كاد ينتحر قلبي يأساً من خبر (كارينا ومرغريت) ؛ ولكأنك تخشى إذ أعلمتني خبرَ صاحبتك هذه وهي من وراء أربعين سنة — ماتخافه من رجل سَيَفجَؤك معها في الخلوة على حالٍ من الريبة فيأخذك « متلبّساً بالجريمة » كما تقولون في لغة المحاكم . . .

قال فضحك العجوزان وقال (ن) : لا والله يا بني ، ولكني أقول ما قال ذلك الحكيم العربي لقومه وقد بلغ مائتي سنة : « قلبي مُضغةٌ من جسدي ولا أظنه إلا قد نحل كما نحل سائر جسدي[1] واعلم يا بني أنه إذا ذهب الحب عن الشيخ بقي منه الحنان يعمل مثل عمله ؛ فيحب العجوز مكاناً أوشيئاً أو معنى أي ذلك كان ليُعيدَه ذلك إلى الدنيا أو يُبقيه فيها (بقدر الامكان) ...»

فضحك الأستاذ (م) وقال : ولعل ثروة العجوز (ن) هي الآن معشوقة العجوز (ن)

ثم قال : وكل شيء يرقُّ في قلب الرجل الهرم ويحول وجهه كأنه لا يطيق أن ينظر الى معناه الغليظ ؛ ولا بد أن يخرج العجوز من معاني الدنيا قبل أن يخرج من الدنيا . ولهذا لا يهنأ الشيخ إلا إذا عاش بأفكار جسمه الحاضر وقدَّر الأمور على ماهو فيه لا على ما كان فيه . والفرق بين جسمه الحاضر وبين جسمه الماضي أن هذا الماضي كانت تحمله أعضاؤه فهو يجتمع من أعمالها وشهواتها ماضٍ في تحقيق وجودها ومعانيها . أما الحاضر ؛ أما الجسم الهرم فهو يشعر أنه يحمل أعضاءه كلها وكأنها ملفوفة في ثيابه كمتاع المسافر قبل السفر ... وكأن بعضها يسلم على بعض سلام الوداع يقول تفارقني وأفارقك[1]

فتململ الأستاذ (م) وقال : أُفٍّ لك ولما تقول ! لا جرم أن هذه لغة عظامك التي لا صلابة فيها ، فمن ذلك لا تجيء معانيك في الحياة إلا واهنة ناحلة فقدت أكثرها وبقي من كل شيء منها شيء عند النهاية . أليس في الهرم إلا أن يبقى الجسم ليكون ظاهراً فقط كمُشمُش المنقود[2] بعد ذهاب الحب منه يقول كان هنا وكان هنا ؟

ألا فاعلم يا (ن) أن هذه الشيخوخة انما هي غلبةُ روحانية الجسم على بشريته ، فهذا طورٌ من أطوار الحياة لا تدعه الحياة إلا وفيه لذته وسروره كما تصنع بسائر أطوارها ؛ غير أن لذاته بين الروح والجمال ، ومسراته بين العقل والطبيعة ، وكل ما نقص من العمر وجب أن يكون زيادة في ادراك الروح وقوتها وشدتها ونورها . وقد قيل لبعض أهل هذا الشأن وكان في مرض موته : كيف تجد العلة ؟ فقال سلوا العلة عني كيف تجدني ؟

وإنما تثقل الشيخوخة على صاحبها إذا هي انتكستْ فيه وكانت مراغمةً بينه وبين الحياة ، فيطمع الشيخ فيما مضى ولايزال يتعلق به ويتسخط على ذهابه ويتصنع له ويتكلف أسبابه ، وقد نسي أن الحياة ردّته طفلاً كالطفل أكبر سعادته في التوفيق بين نفسه وبين الأشياء الصغيرة البريئة ، وأقوى لذته أن يتفق الجمال الذي في خياله والجمال الذي في الكون ؛ وإنه لكما قلت أنت : لا يهنأ الشيخ إلا إذا عاش بأفكار جسمه الحاضر

وما أصدقَ وأحكم هذا الحديثَ الشريف : « إن الله تعالى بعدله وقسطه جعل الرَّوْحَ والفرحَ في الرضى واليقين ، وجعل الهمَّ والحزنَ في الشك والسخط » . فهذه هي قاعدة الحياة ، لا تعاملك الحياة بما تملك من الدنيا ، ولكن بما تملك من نفسك ، وبذلك تكون السعادة في أشياء حقيقية ممكنة موجودة ، بل تكون في كل ما أمكن وكل ما وجد . وإذا كان الرضى هو الاتفاق بين

(١) هو أكثم بن صيفي حكيم العرب قالها لقومه في سفرهم إلى النعمان ابن المنذر كيلا يتكلوا عليه في حيلة ولا منطق . ويقال إنه عاش ثلثمائة وثلاثين سنة ، وفي معنى السنة عند العرب كلام ليس هذا موضعه

(١) في الحديث الشريف : إن العبد ليعالج كرب الموت وسكرات الموت وإن مفاصله ليسلم بعضها على بعض ؛ يقول : عليك السلام تفارقني وأفارقك الى يوم القيامة .

(٢) هو مايبقى من العنقود بعد أكل مافيه من الحب

النفس وصاحبها ، وكان اليقين هو الاتفاق بين النفس وخالقها ، فقد أصبح قانون السعادة شيئاً معنوياً من فضيلة النفس وإيمانها وعقلها ومن الأسرار التي فيها ، لا شيئاً مادياً من أعضائها ومتاعها ودنياها والأخيلة المتقلبة عليها

* * *

فأطرق العجوز (ن) قليلاً ثم قال : « ربِّ إني وهَنَ العظمُ مني » ، ألا ما أحكم هذه الآية ! فوالله إن قرأت ولا قرأ الناسُ في تصوير الهرَم الفاني أبدعَ منها ولا أدق ولا أوفى ؛ ألا تحس أن قائلها يكاد يسقط من تَجَفّفٍ وهُزال وإعياء ، وأنه ليس قائماً في الحياة قيامَه فيها من قبل ، وأن تناقضَ هذه الحياة قد وقع في جسمه فأخلَّ به ، وأن معاني التراب قد تعلقت بهذا الجسم تعمل فيه عملها ، فأخذ يتفتّت كأنما لمس القبر عظامَه وهو حي ، وأنه بهذا كله أوشك أن ينكسر انكسار العظم بلغ المِبرد فيه آخر طبقاته ؟

قال محدثنا : فقلت له : تُرى لو أن نابغةً من نوابغ التصوير في زمننا هـذا ، تناول بفنّه ذلك المعنى العجيبَ فكتبه صورةً وألواناً ، لا أحرفاً وكلمات ، فكيف تراه كان يصنع ؟

قال : كان يصنع هكذا : يرسم منظر الشتاء في سماءٍ تعلق سحابُها كثيفاً متراكباً بعضُه على بعض يخيِّل أن السماء تدنو من الأرض ، وقد سدت السحبُ الآفاقَ وأظلم بها الجو ظلامه تحت النهار المغطَّى ، واستطارت بينها وشائعُ من البرق ، ثم يترك من الشمس جانبَ الأفق لُمعةً كضوء الشمعة في فَتْق من فُتوق السحاب ؛ ثم يرسل في الصورة ريحاً باردةً هوجاءَ ، يدل عليها انحناءُ الشجر وتقلب النبات ؛ ثم يرسم رجالاً ونساءً يغلي الشباب فيهم غليانَه من قوة وعافية ، وحب وصبابة ، وتغلي فيهم أفكار أخرى ... وهم جميعاً في هيئة المسرعين إلى مرقص ؛ وهم جميعاً من المجددين ...

ثم يرسم يا بني في آخرهم (على بعدٍ منهم) عمك العجوز (ن) ، يرسمه كما تراه ، منحلَّ القوة ، منحنيَ الصُّلب ، مُرْعَشاً مُتزلزلاً متضعضعاً ؛ قد زعزعتْه الريح ، وضربه البرد ، وخنقته السحب ؛ وله وجه عليه ذبولُ الدنيا ، يُنبِئ أن دمه قد وُضع من جسمه في برَّادة ، والكونُ كله من حوله ومن فوقه أسباب روماتزم ...

ثم يصوره وقد وقف هناك ساهماً كئيباً ، رافعاً رأسه ينظر إلى السماء

* * *

قال المحدِّث : وضحكنا جميعاً ثم قال الأستاذ (م) : لعمري إن هذه الحيـاة الآدمية كالآلة صاحبها مهنـدسها ؛ فان صلحت واستقامت فمن علمه بها وحياطته لها ، وإن فسدت واختلت فمن عبثه فيها وإهماله إياها ، وليس على الطبيعة في ذلك سبيل لائمة . والشيخ الضعيف ليس في هذه الدنيا إلا الصورةَ الهزلية لمفاسد شبابه وضعفه ولينه ودَعَته تُظهرها الدنيا ليسخر من يسخر ويتعظ من يتعظ

قال (ن) : أكذلك هو يا أستاذ ؟

قال الأستاذ . بل هي الصورة الجدية من هذه الحياة الباطلة التي دأبُها ألا تصرح عن حقيقتها إلا في الآخر ، فتظهرها الدنيا ليُجلِّ الحقيقةَ من يجُلها . وليس إلا بهذه الطريقة يعرف من خراب الصورة خرابُ المعنى

قال العجوز (ن) : آه من إجلال الشيخوخة واحترام الناس إياها ! إنهم يرونه احتراماً للشيخ والشيخ لا يراه إلا تعزية . وما الأشياخُ الهَرْمَى إلا جنازات قبل وقتها لا توحي إلى الناس شيئاً غير وحي الجنازة من مهابة وخشوع

قال الأستاذ : إنما أنت دائماً في حديث نفسك مع نفسك ، ولو كنت نهراً يا مُسْتَنْقَع لما كان في لثتك هذه الأحرف من البعوض

قال العجوز الظريف : إن هذا ليس من كلام الفلسفة التي تتنازعها بيننا تردُّ علي وأرد عليك ، ولكنه كلام القانون الذي لك وحدك أن تتكلم به أيها القاضي

قال (م) : صرِّح وبَيِّن فما فهمنا شيئاً

قال العجوز : هذا كلام قلتـه قديماً في حادثة عجيبة . فقد رفعت إلي ذات يوم قضية شيخ هرم كان قد سرق دجاجة ؛ وتوسّمتُه فاذا هو من أذكى الناس ، وإذا هو يجل عن موضعه من التهمة ، ولكن صح عندي أنه قد سرق وقامت البيِّنة عليه ووجب الحكم ، فقلت له : أيها الشيخ ما تستحي وأنت شائب أن تكون لصاً ؟

قال : ياسيدي القاضي كأنك تقول لي ما تستحي أن تجوع ؟

فَوَرَدَ علىَّ من جوابه ما حيَّرنى فقلت له : واذا جعت أما تستحى أن تسرق ؟

قال ياسيدى القاضى كأنك تقول لى : وإذا جعت أما تستحى أن تأكل ؟

فكانت هذه أشدَّ علىَّ فقلت له : وإذا أكلت أما تأكل إلا حراماً ؟

فقال : يا سيدى القاضى إنك اذا نظرت إلى محتاجاً لا أجد شيئاً ، لم ترنى سارقاً حين وجدت شيئاً

فأفحمنى الرجل على جهله وسذاجته ، وقلت فى نفسى لو سرق أفلاطون لكان مثل هذا ؟ فتركت الكلام بالفلسفة وتكلمت بالقانون الذى لا علك الرجل معه قولاً يراجعنى به ، فقلت : ولكنك جئت الى هذه الحكمة بالسرقة فلا تذهب من هذه الحكمة إلا بالحبس سنتين

* * *

قال محدثنا : وأرمضنى هذا العجوز الثرثار وملأ صدرى إذ ما برح يديرنى وأديره عن (كاترينا ومرغريت) ، ورأيت كل شيء قد هرم فيه إلا لسانه ، فحملنى الضجر والطيش على أن قلت له : وهب القضية كانت هى قضية (كاترينا) وقد رفعت إليك متهمة ، أفكنت قائلاً لها : جئتِ إلى الحكمة بالسرقة فلا تذهبين من الحكمة إلا بالحبس سنتين ؟

وجرت الكلمةُ على لسانى وما ألقيت لها بالاً ولا عرفت لها خطرا ؛ فاكفهرَّ القاضى العجوز وتربد وجهه غضباً وقال : يا بغيض ! أحسبتنى كنت قائلاً لها : جئت إلى الحكمة بالسرقة فلا تذهبين من الحكمة إلا بالقاضى ... ؟

وغضب الأستاذ (م) وقال : ويحك أهذا من أدبكم الجديد الذى تأدبتم به على أساتذة منهم الفَجرة الذين يكذبون الأنبياء ولا يؤمنون إلا بدين الغريزة ويسوغونكم مذاهبَ الحمير والبغال فى حرية الدم ... ؟ أما إنى لأعلم أنكم نشأتم على حرية الرأى ولكن الكلمة بين اثنين لا تكون حرةً كلَّ الحرية إلا وهى أحياناً سفيهة كل السفاهة كهذه القولة التى نطقتَ بها

لقد كان الناس فى زمننا الماضى أناساً على حدة ، وكانت الآدابُ حالاتٍ عقليةً ثابتةً لا تتغير ولا يجوز أن تتغير ، وكان الأستاذ الكافر بينه وبين نفسه لا يكون مع تلاميذه إلا كالمومس تجهد أن تربى بنتها على غير طريقتها

قال المحدث : فلجلجتُ وذهبتُ أعتذر ، ولكن العجوز (ن) قطع علىَّ وأنشأ يقول وقد انفجر غيظه : لقد تمت فى هؤلاء سنعةُ حرية الفكر كما تمت من قبل فى ذلك الواعظ الملم القديم الذى حدثوا عنه أنه كان يقصُّ على الناس فى المسجد كل أربعاء[1] فيعلمهم أمورَ دينهم ويعظهم ويحذرهم ويذكرهم اللهَ وجنته ونارَه ؛ قالوا فاحتبس عليهم فى بعض الأيام وطال انتظارهم له ، فبيناهم كذلك إذ جاءهم رسوله فقال : يقول لكم أبو كعب : انصرفوا فانى قد أصبحتُ مخمورا ... ...

هذا القاصُّ المخمور هو عند هؤلاء السخفاء إمام فى مذهب حرية الفكر ، وفضيلته عندهم أنه صريح غير منافق ... وكان يكون هذا قولاً فى إمام المسجد لولا أنه إمام المسجد ؛ غير أن حرية الفكر تبنى دائماً فى كل ما تبنى على غير الأصل ، وعندها أن المنطق الذى موضوعه ما يجب ، ليس بالمنطق الصحيح إذ لا يجب شيء ما دام مذهبها الاطلاق والحرية

كل مفتون من هؤلاء يتوهم أن العالم لا بد أن يمر من تفكيره كما مرَّ من إرادة الخالق ، وأنه لا بد له أن يحكم على الأشياء ولو بكلمة سخيفة تجعله يحكم ، ولا بد أن يقول (كن) وإن لم يكن إلا جهله . ومذهبه الأخلاق : اطلب أنت القوة للمجموع أما أنا فالتمس لنفسى المنفعة واللذة . ويحسبون أنهم يحملون المجتمع ؛ فانهم ليحملونه ولكن على طريقة البراغيث فى جناح النسر

قال (م) : وكيف ذلك ؟

قال : زعموا أن طائفة من البراغيث اتصلت بجناح نسر عظيم واستمرأته وتَمَتَّتْ فيه ، فصابرها النسر زمناً ثم تأذى بها وأراد أن يرميها عنه فطفق يخفق بجناحيه يريد نفضها ، فقالت له البراغيث : أيها النسر الأحمق ! أما تعلم أننا فى جناحيك لنحملك فى الجو ... ؟

أما أساتذة هذه الحرية الدينية الفكرية الأدبية ، فقد قال الحكماء : إن بَعْرةً من البَعْر كانت معلِّمة فى مدرسة

قال (م) : وكيف ذلك ؟

(١) هو أبو كعب القاص ذكره الجاحظ فى كتاب الحيوان وقال إنه كان يقص كل أربعاء فى مسجد عتاب بالبصرة

قال : زعموا أن بعرة كبش كانت معلمة فى مدرسة الحمى ، فألّفت لتلاميذها كتاباً أحكمته وأطالت له الفكرة ، وبذلت فيه جهدَ ما تقدر عليه لتظهر عبقريتها الجبارة ؛ فكان البابُ الأكبر فيه أن الجبل خرافة من الخرافات ، لا يسوغ فى العقل الحر إلا هذا ، ولا يصح غير هذا فى المنطق . قالت : والبرهانُ على ذلك أنهم يزعمون أن الجبل شيء عظيم ، يكون فى قدر الكبش الكبير ألفَ ألفِ مرة ؛ فاذا كان الجبل فى قدر الكبش ألف ألف مرة فكيف يمكن أن يَنْعَرَه الكبش ... ؟

قال الأستاذ (م) : هذا منطق جديد سديد لولا أنه منطق بعرة

قال (ن) : وكل قديم له عندهم جديد ، فكلمة (رجل) قد تخنثت ، وكلمة (شاب) قد تأنثت ، وكلمة (عفيفة) قد تدنست ، وكلمة (حَياء) قد تنجَّست . والزمن الجديد ألا يعرف الطالب فى هذا العام ماذا تكون أخلاقه فى العام القادم ... والحياة الجديدة أن تتقن الغش أكثر مما تتقن العمل ... والذمة الجديدة أنَّ مال غيرك لا يسمى مالاً إلا حين يصير فى يدك ... والصدق الجديد أن تكذب مائة مرة ، فعسى أن يصدق الناس منها مرة ... ثم الانسان الجديد ، والحب الجديد ، والمرأة الجديدة ، والأدب الجديد ، والدين الجديد ، والأب الجديد ، والابن الجديد ؛ وما أدرى ومالا أدرى

قالوا (السوبرمان) : وتنطَّعوا فى إخراج المخلوق الكامل بغير دينه وأخلاقه ، فسخرت منهم الطبيعة ، فلم تخرج إلا الناقص أفحش النقص ، وتركتهم يعملون فى النظرية وعملت هى الحقيقة

***

قال محدثنا : ونهض العجوز (ن) وهو يقول : تباركتَ وتعاليت يا خالق هذا الخلق ؛ لو فهموا عنك لفهموا الحكمة فى أنك قد فتحت على العلم الجديد بالغازات السامة ...

قال : ولما انصرف العجوز ، قلت للأستاذ (م) : ولكن ما خبر (كاترينا ومرغريت) وسنة ١٨٩٥ ؟

فقال : أيها الأبله ، أما أدركتَ بعدُ أن العجوزين قد سخرا منك بأسلوب جديد .... ؟

(طنطا) مصطفى صادق الرافعي

ذكرى المولد الشريف

للشاعر المطبوع الأستاذ أحمد محرم

مِنْ هيبةٍ يُغضى القريض ويُطرق ... ويميل فيك إلى السكوت المنطقُ
إيذن يَفِض هـذا البيان فانه ... مما يُفيضُ بيانكَ المتدفقُ
ما فى النوابغ من لبيبٍ حاذق ... إلا وأنتَ ألبُّ منه وأحذق
إن يلبس الشعرُ الجمال منوّراً ... عبقاً ، فأنتَ جماله والرونق
والقولُ مُستلَبُ المحاسن عاطلٌ ... حتى يقولَ العبقريُّ المفلق
رُضتَ الأوابد لى أقود صعابها ... وَرَضيتنى ، إنى إذاً لموفق
هى مدحتى انطلقت إليكَ مشوقة ... والسُّبْل تسطع ، والمنازلُ تعبق
أنت المجالُ الرحب تُعتصر القوى ... فيـه ، وتمتحن العتاقُ السبَّق
(حسان) منبهرٌ و(كعب) عاجز ... و(الشاعر الجعدىُّ) عانٍ موثق
أطمعتهم فتنازعوا فيـك المدى ... وأبيت فانقلبوا وكلٌّ مُخفق
لى عذرهم ، ما أنت من عدة المنى ... إلا وراء مخيلةٍ ما تصدق
أنت احتملت الأمر تنصدع القوى ... مما يشق على النفوس ، وتصعق
وَسننت للمتعسفين سبيلهم ... متبلجاً سمحاً يُضيء ويُشرق
يمشى الهدى فيه على يدك التى ... هى للهـدى عضُدٌ أبرُّ ومرفق
ذُعرت (قريش) هل يبدل دينها ... رجلٌ ضعيف فى العشيرة مُملق ؟
لا المال ينصره ، ولا هو إن دعا ... خفق اللواء له ، وخف الفيلق
ينهى عن الأصنام وهى بموضع ... تمحى حواليه النفوس وتمحق
المال والعِرض المنَّع سوره ... والمجد والشرف الصميم المعرق
من وَصْفِه الأسْد الضوارى تدعى ... والخيل تصهل ، والقواضب تبرق

***

الحقُّ أقبـل فى لواء (إمامه) ... والحقُّ أولى أن يسود وأخلق
يرمى به سودَ الغياهب ساطعاً ... تنجاب حول سناه أو تتشقق
حارَ الظلام ، فما يلوذ بجانبٍ ... إلا يحيط به الضياء ويحدق
الوحى مطردٌ ، وبأس (محمد) ... جارٍ إلى غاياته لا يُلحق
لا الضعف يأخذ من قواه ولا الونى ... بأولئك الهمم الدوائب يَعلق

بغى الأولى خذلوه من أنصاره   والبغى نصرٌ للهداة مُحقق
زعموا الأذى مما يفلُّ مضاءه   فمضى البلاء به، وجد المصدق
يأوى إلى النفر الضعاف وإنهم   لأشد منهم فى النضال وأوثق
هم فى حمى (الوحى المنزل) صخرة   تعيى الدُّهاةَ، وجذوة تتحرق
وهبوا لربهم النفوس كريمة   لا تُفتدى منه، ولا هى تعتق
المؤمنون الثابتون على المدى   والأرض ترجف، والشوامخ تخفق
رزقوا اليقين، فلا ذليلٌ ضارع   يطوى الجناحَ، ولا جبانٌ مُشفق
جند النبيِّ، إذا تقدم أقبلوا   والموتُ يفزع، والمصارع تفرق
صدعوا بناء الشركِ تحت لوائه   فهوى، وطارَ لواؤه يتمزق

* * *

إن الذى جعل الرسالة رحمةً   لم يرحم الدم فى الغواية يهرق
بعثَ الرسولَ معلماً ومهذباً   يبنى الحياةَ جديدةً يتأنق
يتخير الأخلاق ينظم حسنها   فى كلِّ ركنٍ قائم ويُنسق
عفت الرسوم وأخلقت فأقامها   شماء لا تعفو ولا هى تخلق
قدسية الأرجاء، ما برحابها   عنتٌ، ولا فيها مكان ضيق
تسع الممالكَ والشعوبَ بأسرها   وتفيض خيراً ما بقينَ وما بقوا
عرفت لحاجات العصور مكانها   فلكل عصرٍ سؤلُهُ والمرفق
منعت مغالقُها الشرورَ وما بها   للخير والمعروفِ بابٌ مُغلق
فيها لدُنيا العالمين مثابةٌ   لولا التباعد والهوى المتفرق
(المصلح الأعلى) أتمَّ نظامها   فانظر أينقضه الغبيُّ الأخرق؟
أوْفى على الدنيا، وملءُ فجاجها   بغى يزلزلها، وظلم موبق
والناس فوضى فى البلاد يغرهم   دينٌ من الخبل المضل ملفق
النفس مغلقةٌ على أوهامها   والعقل مضطهدٌ يُضامُ ويُرهق
سجدوا لما صنعوا! فأين حلومهم؟   ولمن جباهٌ بالمهانة تلصق؟
أهىَ التى رفعوا وظنوا أنهم   قوم لهم فوق السماكِ محلَّق؟؟
من يدعى شرفَ الحياةِ لمعشرٍ   كفروا بمن يهب الحياةَ ويخلق؟

* * *

إن تنبُ (مكةُ) بالرسولِ فما نبا   عزمٌ تهدُّ به الصعابُ وتُسحق
كذب الطغاة: أيُرجفونَ بقتله   والوحى سورٌ والملائك خندق؟؟
وَرَدَ (المدينةَ) زاخراً تجرى بها   آذيُّهُ، وطما العُباب المغرق
بطلٌ توسَّع فى ميادين الوغى   لما تضايق عن مداه المأزق
ساسَ الحوادثَ والنفوس، فتارة   يقصُ الرقاب، وتارةً يترفق
يدعو إلى الحسنى، فإن جمح الهوى   فالسيف مسنون الغرار مذلق
يرمى العوان بكلِّ أغلب باسلٍ   يهفو إلى غمراتها يتشوق
لمسَ العروش فما يزال يهزها   ذُعرٌ يطوف بها وهمٌّ مقلق
صدعتْ قُوى الاسلام شامخ عزها   فاذا الملوك أذلة تتملق
وإذا الممالك ما يهلل مغربٌ   إلا استجاب له فكبر مشرقٌ

* * *

هذا تراث المسلمين، فبعضه   يُرجى علانيةً، وبعض يسرق
عجز الحماةُ، فنائمٌ متقلبٌ   فوق الحشيَّة، أومغيظ مُحْنَق
عجزوا، فلا السلب المباح كريمه   يحمى، ولا العانى المكبل يُطلق
القوم صمٌّ فى السلاح، وقومنا   مستصرخٌ يعوى، وآخرُ ينعق
إن كنت ذا حق فخذه بقوةٍ   الحق يخذله الضعيف فيزهق
لغةُ السيوف تحل كل قضية   فدع الكلام لجاهل يتشدق
وكُن اللبيب، فليس من كلماتها   شرعٌ يُداس، ولا نظامٌ يخرق
الخيل والرهج المثارُ حروفها   والنارُ والدمُ والبلاء المطبق
فتشت ما بين السطورِ فلم أجد   أن الأسود بصيدها تتصدق
أرأيت أبطالَ الكفاحِ وما جنى   أملٌ بأجنحة الرياح معاق؟
لا يأسَ من نفحاتِ ربك إننى   لأرى السنا خَللَ الدُّجى يتألق

أحمد محرم

نشــــيد وطنى

للأستاذ محمود الخفيف

مِصْرُ يا أرضَ الفراعين الأُولى موطنَ العِزَّةِ فى فجرِ الزَّمنْ
اسلمى انا نزعنا للعلا مُذْ دعانا للعلا داعى الوطنْ
وَنُحيُ ماضينا جَلاَ المستقبلاَ
فتبيَّنا المكانَ الأوّلا
وسئمنا فى الحمى طولَ الوسَنْ

دَرَجتْ فى ظلِ وادينا الحياه وبماضى عزمنا سارَ المثلْ
قلْ لمن يزهى بمجدٍ أو بجاه نحنُ أهلُ السَّبْقِ فى المجدِ الأُولْ
نحن أبناء الميامين الغُزاه
قد رفعنا اليومَ فى مِصْرَ الجباه
وتغنينا بألحانِ الاملْ

رُوحُنا أعيتْ على الدهر الفناء وطوت فى صمتها طول الحقَبْ
أبداً لن يفقد النيلُ الرجاء أو يرى واديه سوءَ المنقلَبْ
عادت الروحُ وإن طال الخفاء
فتطلعنا إلى أوج العَلاء
وطلبنا موضعاً فوق الشهبْ

سِرٌّ وادينا وإن طال السكون مستكنٌّ فيه باقٍ مُدَّخَرْ
خالدٌ يطفو على غمر القرون نجتليه اليومَ محمودَ الأثرْ
فى غدٍ نُحيي به عَهْدَ الفنونْ
فى حمى النيل كما كُنّا نكون
نجتنى من غرسنا أحلى الثمرْ

ياوَرِيد القلبِ فى الوادى الخصيب أنت يا من وهَبَ الوادى ثراه
سر، تدفق أيها النهرُ الحبيب ياعباباً يبهرُ الفكرَ مداه
ياجَدِيداً وَهْوَ للدهرِ ضريبْ
يتجلىّ فيك لى معنى عجيب
فطن القلبُ إليـــه فوعاه

أنت كالمصرىّ فى نزعته زاخر بالخير فياض المَعين
خالد تحكيه فى فطرته وادع تنساب فى خفض ولين
حالم كابنك فى رقتــــه
ولقـــد تحكيه فى غضبته
باعتكار ثم تصفو بعد حين

إيه يا رمز المعالى والخلود قد شهدت المجد والدهر غلام
وصحبت العزَّ فى كل العهود فى هجير الحرب أو ظلّ السلام
قِرّ عيناً أيها النهرُ الودود
قد صحونا بعد أن طال الهجود
وجمعنا بين رأى واعتزام

قد أبينا ذلة المستضعفين فوثبنا وثبةَ الأسْد الغضابْ
قد كرهنا البحرَ مسلوب السفين وملِلْنا البرَّ موهون الجناب
فتآخينا على ضوء اليقين
وهتفنا نصرةُ الأوطان دين
قد دعت مصرُ فما أحلى العذاب !

لم ينل من عزمنا حرُّ الجهاد لا ولن نخشى مع الحق الردى
قُل لمن أعماه حقدٌ أو عناد نحن بالأرواح أعززنا الفدى
لازم الجدُّ خطانا والسداد
ولغير الحقّ لم نُلق القياد
أقبلَ الدهر علينا أو عدا

جنة الأرض رفعنا ذِكرها وملأنا باسمها سمع الأمم
أوَ لم ننشر لها دُستورَها بالدّم المسفوح من طىّ العدم ؟
بُغية النيل عرفنا مهرَها
فلمحنا بعد حين فجرَها
وغداً نكشف عن مصرَ الظلَمْ

شيِّع الليلَ فقد لاح الصباحْ لم يَقِفْ يوماً عن الدأبِ الفَلَكْ
عَهْدُنا عهدٌ جهاد وكفاح بهما كلُّ عصىٍّ يُمتلكْ
فامتلىء من كبرياء وطماح
واتجهْ صوبَ السموات الفساح
يا ابن مِصْرٍ فالعلا والمجد لك

محمود الخفيف

القصص

قصة أندلسية واقعية

محمد الصــغير*

للأستاذ علي الطنطاوي

قال :

كنت يومئذ صغيراً ، لا أفقه شيئاً مما كان يجرى فى الخفاء ، ولكنى كنت أجد أبى – رحمه الله – يضطرب ويصفرّ لونه كلما عدت من المدرسة فتلوت عليه ما حفظت من (الكتاب المقدس) ، وأخبرته بما تعلمت من اللغة الاسبانية ، ثم يتركنى ويمضى إلى غرفته التى كانت فى أقصى الدار ، والتى لم يكن يأذن لأحد بالدنو من بابها ، فيلبث فيها ساعات طويلة ، لا أدرى ما يصنع فيها ، ثم يخرج منها محمرّ العينين ، كأنه قد بكى بكاء طويلاً ، ويبقى أياماً ينظر إلىّ بلهفة وحزن ، ويحرك شفتيه فعلَ من يهم بالكلام ، فاذا وقفت مصغياً إليه ولاّنى ظهره ، وانصرف عنى من غير أن يقول شيئاً – وكنت أجد أمى تشيّعنى كلما ذهبت إلى المدرســة حزينة دامعة العين ، وتقبلنى بشوق وحرقة ، ثم لا تشبع منى فتدعونى فتقبلنى مرة ثانيــة – ولا تفارقنى إلا باكية ، فأحس نهارى كله بحرارة دموعها على خدى ، فأعجب من بكائها ولا أعرف له سبباً ؛ ثم إذا عدت من المدرسة استقبلتنى بلهفة واشتياق ، كأنى كنت غائباً عنها عشرة أعوام – وكنت أرى والدىّ يبتعدان عنى ويتكلمان همساً بلغة غير اللغة الأسبانية ، لا أعرفها ولا أفهمها ، فاذا دنوت منهما قطعا الحديث وحوّلاه ، وأخذا يتكلمان بالاسبانية فأعجب وأتألم وأذهب أظنّ فى نفسى الظنون حتى إنى لأحسب أنى لست ابنهما ، وانى لقيط جاءا به من الطريق فيبرح بى الألم فآوى إلى ركن فى الدار منعزل فأبكى بكاء مراً – وتوالت علىّ الآلام فأورثتنى مزاجاً خاصاً يختلف عن مزاج الأطفال الذين كانوا فى مثل سنى ، فلم أكن أشاركهم فى شىء من لعبهم ولهوهم ، بل أعتزلهم وأذهب ، فأجلس وحيداً أضع رأسى بين كفى ، وأستغرق فى تفكيرى ، أحاول أن أجد حلاً لهذه المشكلات . . . حتى يجذبنى الخورى من قميصى لأذهب إلى الصلاة فى الكنيسة . . .

وولدت أمى مرة ؛ فلما بشرت أبى بأنها قد جاءت بصبى جميل، لم يبتهج ولم تلحْ على شفتيه ابتسامة ، ولكنه قام يجر رجله حزيناً ملتاعاً ، فذهب إلى الخورى فدعاه ليعمد الطفل ، وأقبل يمشى وراءه وهو مطرق برأسه إلى الأرض وعلى وجهه علائم الحزن البرح واليأس القاتل ، حتى جاء به إلى الدار ودخل به على أمى . . . فرأيت وجهها يشحب شحوباً هائلاً ، وعينيها تشخصان ، ورأيتها تدفع إليه الطفل خائفة حذرة . . ثم تغمض عينيها ، لحرت فى تعليل هذه المظاهر ، وازددت ألماً على ألمى . .

حتى إذا كانت ليلة عيــد الفصح ، وكانت غرناطة غارقة فى المطر والنور ، والحمراء تتلألأ بالمشاعل والأضواء ، والصلبان تومض على شرفاتها ومآذنها ، دعانى أبى فى جوف الليل ، وأهل الدار كلهم نيام ، فقادنى صامتاً إلى غرفته ، إلى حرمه المقدّس ، لخفق قلبى خفوقاً شديداً ، واضطربت ، لكنى تماسكت وتجلدت ، فلما توسط بى الغرفة أحكم إغلاق الباب ، وراح يبحث عن السراج ، وبقيت واقفاً فى الظلام لحظات كانت أطول علىّ من أعوام ؛ ثم أشعل سراجاً صغيراً كان هنالك ، فتلفت حولى فرأيت الغرفة خالية ليس فيها شىء مما كنت أتوقع رؤيته من العجائب ، وما فيها إلا بساط ، وكتاب موضوع على رفّ ،

---

* أخذنا فكرة هذه القصة من السطور الأولى من مقدمة كتاب (الأنوار النبوية فى آباء خير البرية) لسيدى محمد بن عبد الرفيع الأندلسى المتوفى بالمغرب سنة ١٠٥٢ ، وهو كتاب مخطوط ، وقد قرأنا هذه المقدمة فى الجزء الثانى فى الصفحة (٢٤) من كتاب (حاضر العالم الاسلامى ، طبع مصر ١٣٥٢)

وسيف معلق بالجدار ، فأجلسني على هذا البساط ، ولبث صامتاً ينظر إلىّ نظرات غريبـة ، اجتمعت علىّ هي ورهبة المـكان ، وسكون الليل ، فشعرت كأني انفصلت عن الدنيا التي تركتها وراء هذا الباب ، وانتقلت إلى دنيا أخرى ، لا أستطيع وصف ما أحسست به منها . . . ثم أخذ أبي يدىّ بيديه ، بحنو وعطف وقال لي بصوت خافت :

— يا بنىّ ! إنك الآن في العاشرة من عمرك ، وقد صرت رجلاً ، وإني سأطلعك على السر الذي طالما كتمته عنك . فهل تستطيع أن تحتفظ به في صدرك ، وتحبسه عن أمك وأهلك وأصحابك والناس أجمعين ؟ إن إشارة منك واحدة إلى هذا السر تعرض جسم أبيك إلى عذاب الجلادين من رجال « ديوان التفتيش »

فلما سمعت اسم ديوان التفتيش ارتجفت من مفرق رأسي الى أخمص قدمي ، وقد كنت صغيراً حقاً ، ولـكني أعرف ما هو ديوان التفتيش ، وأرى ضحاياه كل يوم وأنا غاد الى المدرسة ورائح منها — فمن رجال يصلبون أو يحرقون ، ومن نساء يعلقن من شعورهن حتى يمتن ، أو تبقر بطونهن ، فسكت ولم أجب

— فقال لي أبي : مالك لا تجيب ؟ أتستطيع أن تكتم ما سأقوله لك ؟

— قلت له : نعم

— قال : تـكتمه حتى عن أمك وأقرب الناس إليك ؟

— قلت : نعم

قال : — فاقترب مني . أرهف سمعك جيداً . فاني لا أقدر أن أرفع صوتي . أخشى أن تكون للحيطان آذان تسمعني فتشي بي الى ديوان التفتيش فيحرقني حياً ...

فاقتربت منه ، وقلت له :

— إني مصغ يا أبت

فأشار الى الـكتاب الذي كان على الرف . وقال :

— أتعرف هذا الـكتاب يا بني ؟

— قلت لا

— قال هذا كتاب الله

— قلت الـكتاب المقدس الذي جاء به يسوع ابن الله ؟

فاضطرب وقال :

— كلا . هذا هو القرآن الذي أنزله الله الواحد الأحد الفرد الصمـد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد . على أفضل مخلوقاته وسيد أنبيائه ، سيدنا محمد بن عبد الله النبي العربي صلى الله عليه وسلم

ففتحت عيني من الدهشة . ولم أكد أفهم شيئاً

— قال : هذا كتاب الاسلام ، الاسلام الذي بعث الله به محمداً الى الناس كافة .. فظهر هناك ... وراء البحار والبوادي ... في الصحراء البعيدة القاحلة ... في مكة ، في قوم بداة مختلفين مشركين جاهلين ، فهداهم به الى التوحيد وأعطاهم به الاتحاد والقوة والعلم والحضارة ، فخرجوا يفتحون به المشرق والمغرب ، حتى وصلوا إلى هذه الجزيرة ، الى أسبانيا ، وكان ملـكها جباراً عاتياً ، وحكومتها ظالمة غاشمة ، وشعبها مظلوماً فقيراً جاهلاً متأخراً ، فقتلوا الملك الجبار ، وأزالوا الحـكومة الظالمة ، وملـكوا الأمر في أسبانيا ، فعـدلوا بين الناس وأحسنوا اليهم وأمنوهم على أرواحهم وأموالهم ، ولبثوا فيها ثمانمـائة سنة . . . ثمانمائة سنة جعلوها فيها أرقى وأجمل بلاد الدنيا

نعم يا بني نحن العرب المسلمين ...

فلم أملك لساني من الدهشة والعجب والخوف ، وصحت به :

— ما ذا ؟ نحن ؟ ... العرب المسلمين

— قال : نعم يابني . هذا هو السر الذي سأفضي به اليك ... نعم . نحن ... نحن أصحاب هذه البلاد ، نحن بنينا هذه القصور التي كانت لنا فصارت لعدونا ؛ نحن رفعنا هذه المآذن التي كان يرن فيهـا صوت المؤذن ، فصار يقرع فيها الناقوس ؛ نحن أنشأنا هذه المساجد التي كان يقوم فيها المسلمون صفاً بين يدي الله ، وأمامهم الأئمة يتلون في المحاريب كلام الله فصارت كنائس يقوم فيها القسس والرهبان يرتلون فيها الانجيل ...

نعم يا بني ... نحن العرب المسلمين ، لنا في كل بقعة من بقاع أسبانيا أثر ، وتحت كل شبر منها رفات جد من أجدادنا ، أو شهيد من شهدائنا . نعم ... نحن بنينا هذه المدن ، نحن أنشأنا هذه الجسور ، نحن مهدنا هذه الطرق ، نحن شققنا هذه الترع ، نحن زرعنا هذه الأشجار ...

ولـكن منذ أربعين سنة ... أسامع أنت ؟ منذ أربعين سنة خدع الملك البائس ، أبو عبـد الله الصغير آخر ملوكنا في هذه الديار بوعود الاسبان وعهودهم فسلمهم مفاتيح غرناطة ، وأباحهم حمى أمته ومدافن أجداده ، وأخذ طريقه إلى بر المغرب ، ليموت

هنالك وحيداً فريداً شريداً طريداً ، وكانوا قد تعهدوا لنا بالحرية والعدل والاستقلال . فلما ملكوا خانوا عهودهم كلها ، فأنشأوا ديوان التفتيش ، فأدخلنا فى النصرانية قسراً ، وأجبرنا على ترك لغتنا إجبارا ، وأخذ منا أولادنا لينشئهم على النصرانية . فذلك سر ما ترى من استخفائنا فى العبادة ، وحزننا على ما نرى من امتهان ديننا ، وتكفير أولادنا

أربعون سنة يا بنى ونحن صابرون على هذا العذاب الذى لا تحمله جلاميد الصخر ننتظر فرج الله . لا نيأس لأن اليأس محرم فى ديننا ، دين القوة والصبر والجهاد

هذا هو السر يابنى فاكتمه واعلم أن حياة أبيك معلقة بشفتيك ؛ ولست والله أخشى الموت ، أو أكره لقاء الله ، ولكنى أحب أن أبقى حتى أعلمك لغتك ودينك ، وأنقذك من ظلام الكفر إلى نور الايمان . قم الآن الى فراشك يا بنى

* * *

صرت من بعد كلما رأيت شُرَف الحمراء ، أو مآذن غرناطة ، تعرونى هزة عنيفة ، وأحس بالشوق والحزن والبغض والحب يغمر فؤادى ؛ وكثيراً ما ذهلت عن نفسى ساعات طويلة ، فاذا تنبهت رأيتنى أطوف بالحمراء أخاطبها وأعاتبها وأقول لها :

أيتها الحمراء . . . أيتها الحبيبة الهاجرة ، أنسيت بناتك وأصحابك الذين غذوك بأرواحهم ومهجهم ، وسقوك دماءهم ودموعهم ، فتجاهلت عهدهم ، وأنكرت ودهم . أنسيت الملوك الصيد الذين كانوا يجولون فى أبهائك ، ويتكئون على أساطينك ، ويفيضون عليك ما شئت من المجد والجلال والأبهة والجمال ، أولئك الأعزة الكرام الذين إن قالوا أصغت الدنيا ، وإن أمروا لبى الدهر . أألفت النواقيس بعد الأذان ، أرضيت بعد الأئمة بالرهبان !

ثم أخاف أن يسمعنى بعض جواسيس الديوان ، فأسرع الكرّة إلى الدار لأحفظ درس العربية الذى كان يلقيه علىّ أبى ، وكأنى أراه الآن يأمرنى أن أكتب له الحرف الأعجمى فيكتب لى حذاءه الحرف العربى ، ويقول لى : هذه حروفنا ، ويعلمنى النطق بها ورسمها ، ثم يلقى علىّ درس الدين ، ويعلمنى الوضوء والصلاة لأقوم وراءه وهو يصلى خفية فى هذه الغرفة الرهيبة وكان الخوف من أن أزلّ فأفشى السرّ ، لا يفارقه أبداً ، وكان يمتحننى فيدس أمى إلىّ فتسألنى :

— ماذا يعلمك أبوك ؟

— فأقول : لا شىء

— فتقول : إن عندى نبأ مما يعلمك ، فلا تكتمه عنى

— فأقول : إنه لا يعلمنى شيئاً

حتى أتقنت العربية ، وفهمت القرآن ، وعرفت قواعد الدين ، ثم رّفنى بأخ له فى الله ، فكنا نجتمع نحن الثلاثة على عبادتنا وقرآننا

* * *

واشتدت بعد ذلك قسوة ديوان التفتيش ، وزاد فى تنكيله بالبقية الباقية من العرب ، فلم يكن يمضى يوم لا نرى فيه عشرين أو ثلاثين مصلوباً ، أو محرقاً بالنار حياً ؛ ولا يمضى يوم لا نسمع فيه بالمئات يعذبون أشد العذاب وأفظعه ، فتقلع أظافرهم وهم يرون ذلك بأعينهم ، ويسقون الماء حتى تنقطع أنفاسهم ، وتكوى أرجلهم وجنوبهم بالنار ، وتقطع أصابعهم وتشوى وتوضع فى أفواههم ، ويجلدون حتى يتناثر لحمهم ...

واستمر ذلك مدة طويلة ، فقال لى أبى ذات يوم : إنى أحس يا بنى كأن أجلى قد دنا ، وإنى لأهوى الشهادة على أيدى هؤلاء ، لعل الله يرزقنى الجنة ، فأفوز فوزا عظيما ؛ ولم يبق لى مأرب فى الدنيا بعد أن أخرجتك من ظلمة الكفر وحملتك الأمانة الكبرى التى كنت أهوى تحت أثقالها ، فاذا أصابنى أمر فأطع عمك هذا ولا تخالفه فى شىء

* * *

ومرت على ذلك أيام . وكانت ليلة سوداء من ليالى السرار ، وإذا بعمى هذا يدعونى ويأمرنى أن أذهب معه ، فقد يسر الله لنا سبيل الفرار إلى عدوة المغرب ، بلد المسلمين ؛ فأقول له : وأبى وأمى ؟ . . .

فيعنف علىّ ويشدّنى من يدى ، ويقول لى : ألم يأمرك أبوك بطاعتى ؟

فأمضى معه صاغراً كارهاً ، حتى إذا ابتعدنا عن المدينة وشملنا الظلام ، قال لى :

— اصبر يا بنىّ . . . فقد كتب الله لوالديك المؤمنين السعادة على يد ديوان التفتيش . . . .

(دمشق) علي الطنطاوي

من اسخيلوس

لايوس وأوديب

« درامتان مفقودتان »

للأستاذ دريني خشبة

مقدمة : كانت محنة بيت لايوس ملك طيبة ، من أعمال بووطيه إحدى مقاطعات هيلاس ، مرتعا خصبا لأخيلة شعراء اليونان ، وقد اتخذوا منها مادة خالدة لمآسيهم ، وكتب فيها إسخيلوس ثلاثا من أروع مآسيه هي لايوس ، أوديبوس ، سبعة ضد طيبة . وقد فقدت الدرامتان الأوليان مع الأسف الشديد ، وبقيت الثالثة التي تنم بأسلوبها الرائع عما كانت عليه أختاها من الكمال والسمو . ومما يعزينا عن فقدتينك الدرامتين ما وصل إلينا من آثار سوفوكليس ؛ فقد ساهم هو الآخر في تخليد تلك المآسي وأبقت غير الأيام على درامتيه القويتين (أوديبوس الملك) و (أوديبوس في كولونوس) ولما كنا لم نسغ تقديم الدرامة الباقية من ثلاثية إسخيلوس وهي (سبعة ضد طيبة) دون التعريف بالدرامتين اللتين تقدمتاها فقد آثرنا تلخيص هاتين الدرامتين عن مصادر محترمة موثوق بها على أن نلخص الدرامة الباقية بعد ذلك

— ١ —

تزوج لايوس ملك طيبة من الأميرة الجميلة جوكاستا ، ومضت سنون والملكة لا تنجب ؛ فكان عقمها يشجي الملك ، ويكدر صفو حياته ؛ وكانت هي أيضاً تحس بما يحس زوجها من مرارة الحياة بلا ولد ، وإقفار القصر من بلبل غَرِدٍ يملؤه موسيقى ويعمر ما أجدب روحي المليكين ، ويربط قلبيهما برباطه المقدس الذي لا ينفصم

فكان الملك وقتاً ما شقيا ، وكانت الملكة وقتا ما شقية

— ٢ —

ثم أخذها المخاض فجأة ، وتحقق الأمل المنشود فوضعته غلاماً زكياً مشرق الوجه مُفْتَر الثغر وضاح الجبين . يقبض كفيه الصغيرتين فكأنما يقبض بهما على نواصي المشرقين والمغربين !

وبدا للملك أن يرسل رسله إلى دلفي يستنبئون كهنة أبوللو عما سيكون من شأن الغلام ، وما يضمره له الغيب في صفحته

وا أسفاه ! لقد عاد الرسل من دلفي بأشأم نبوءة !!

« إذا عاش هذا الغلام فانه يقتل أباه ، ويتزوّج من أمه ويجر على شعبه شقاء ما ينتهي حتى تفنى ذريته ! ! »

يا للهول ! لقد سمع الملك إلى النبوءة ؛ وكأنما انطفأت في عينيه شمس السعادة المشرقة ، وكأنما ران على قلبه من الهم ما يضنيه ، فما يدري ماذا يصنع ! ؟

أما الملكة ، فيالها من شقية مرزَّأة ! لقد أحست ، مذ عرفت النبوءة ، كأنما قد ولدته أفعوانا أرقم ، كهذه التنانين الخرافية التي تحفل بها أساطير قومها ! . . .

— ٣ —

وأسقط في يد الملك ، ثم اعتزم أن يُقتل الغلام ، فعسى أن تبدله الآلهة خيراً منه : « إن نبوءات دلفي لا تكذب ولا تطيش ، وما دام هذا الولد سيقتلني إذا عاش ، فاني قاتله ، ومجنّب أمه الفضيحة ، وشعبي الرزايا والأشجان ! »

ودعا اليه واحداً من خدمه المخلصين فأسر اليه بكلمات . . .

واحتمل الخادم الغلام ومضى به إلى البرية ليذبحه ...

ونظر الرجل في وجه الطفل فرأى البراءة والطهارة والنقاء ، ورأى عينين صافيتين تطل منهما السماء بما فيها من آلهة ... كأنما تأمره ألا يفعل ! ...

ورأى شفتين رقيقتين كأنما تكلمانه بلغة علوية في ألفاظ كالنسيم الحلو لا تُبين ، ولكن تُنمنم ... ولا تُسمع ولكن تُفهم ... تترجمانه !

ورأى أذنين ترتمشان كالدينارين ، كأنما تقولان له : « أيها الرجل لقد سمعنا ما أسر إليك الملك فحذار أن تقتل هذا الطفل صاحبنا ! ... »

ثم نظر الرجل في السماء فرأى سحاباً رقيقاً ممزقاً تصبغه الشمس بأرجوان خفيف كالدم المطلول ، فيجفل قلبه ، وترتاع نفسه ويقسم ألا يقتل الولد !

ولكن ماذا يقول للملك ؟ إذن : « لأربط الطفل من عقبيه في هذا الفرع الغليظ من تلك الشجرة ، ولأتركه للآلهة تصنع به ما تشاء ... فاذا حق عليه القتل ، سعت اليه وحوش البرية أو عقبان السماء فاغتذت به ... وإلا ، فليحي حياته التي تريدها الآلهة ... وليكن بعد ذلك ما يكون ! »

— ٤ —

وبكى الطفل ، وملأ البرية بصراخه المحزن ، ورددت الآكام ومشارف الجبال عويله المؤلم ، ثم مر به راع كان يفتقد أحد نعاجه الضالة فرثى له ، وتقدم لحل الرباط عن عقبيه ، وشدهه أن يجدهما متورّمين مما ألم بهما ، فسماه (أوديپوس !) (١)

وارتحل به إلى كورنثه ، فرآه معه من نم عنه إلى الملك الذى كانت امرأته عقيما لا تلد ، فحبب إلى پوليبوس أن يرى الطفل عسى أن يتخذه ولداً . فلما أحضر إليه أنس فى عينيه بريقاً عجيبا وفى جبينه لألاء قويا ، وفى روحه الصغيرة روحا كبيرا يكاد يملأ الأكوان ... فقال للملكة : « إن لم يكن هذا الطفل ابن ملك ، فما أحسبه خلق إلا ليكون ملكا ... ألا نتخذه ولى عهد ؟ »

وشب أوديپوس ، أو أوديب ، وأحبه الملك ، وغمرته الملكة باعزازها ، وكان هو يهتف بالملك « أى أبى ! » وبالملكة « يا أمى ! » وهو لا يعرف مما أخفياه عنه شيئا !

— ٥ —

أما لايوس ، ملك طيبة ، فانه تنفس الصعداء لما حسب من قتل الطفل ، وتنفست الملكة الصعداء كذلك ... أما الأقدار ، فما برحت تسخر منهما ، وتضحك ملء أشداقها عليهما ... وما برحت كذلك تعد العدة للمستقبل الرهيب !

— ٦ —

وترعرع أوديپوس ، ونشأ مفتول العضل هرقلى الصدر ، قويم الأخلاق ، فيه نخوة الملك ، ورفعة العرش ، إلى كرم أرومة وطيب محتد

وحُم القضاء ... وأقيم فى القصر الملكى حفل فخم ، دعى إليه سادات طيبة وشبابها ... وقدمت الآكال والأشربات ... وتقهقت أباريق الخمر فى الكؤوس ... وفى الرؤوس ، وذهبت أشوابها بوقار الشباب فتحرش بعضهم بأوديب ، الذى لم يكن ممن تأسر الخمر لبه ، فرده أوديب فى حزم ، وفى أدب ؛ ولكن الشاب خاشن ولى العهد ، ثم لمزه ، وهو لا يدرى ما يقول ، لمزةً نبهت غافل أوديب ؛ ذلك أنه عيره بأصله المجهول ...

(١) معناها فى اليونانية (ذوالقدمين المتورمتين) وفى بعض المصادر أن ملك كورنثه هو الذى سماه هذه التسمية

— ٧ —

« أصلى المجهول ؟ ماذا يقول هذا المتوه ؟ مجهول كيف ؟ أو لست ابن پوليبوس ملك كورنثه ؟ أو ليست هذه الملكة الجليلة أمى ؟ بلى ؟ ! لقد كنت أحس دائماً أننى لا أستنشق هواء الأبوة فى هذا القصر ! ... ويلاه ! السر العجيب ... السر العجيب ... »

وانطلق المسكين إلى مخدعه يبكى وينتحب ... وانطلقت الملكة فى إثره ترفه عنه وتواسيه ، وتحلف له بالأيمان المغلظة أنه ابنها ... وأنها أمه ... ولكن ... هيهات ! فلم يكن أوديب من البله والغفلة بحيث ينخدع بهذه الأيمان التى لا تصدر عن اخلاص الأم الحقيقية ، ولا يشف عن صدقها حب الأمهات الذى يدل على نفسه ...

« لا ! بل أنا أوديب التاعس ! أنا أوديب المسكين الذى لا يعرف له أماً ، ولا يدرى له أباً ... الوداع أيها القصر المملوء بالخداع ... الوداع أيها الملك الذى أكرمتنى كأننى ابنك ... إغفرى لى أيتها الملكة التى أحببتنى كأننى ابنها ... سأنطلق ... سأهيم على وجهى فى القفار والفلوات ... لا بد أن أعرف ... لا بد أن أعرف من أنا ... من أبى ... من أمى ... الوداع ... الوداع ... »

وانطلق المسكين لا يلوى على شىء ... غير مزود من هذا الملك العريض والسلطان الواسع إلا بسيفه ... حتى إذا بلغ أفق طيبة ، وقف على ربوة عالية يلقى على ملاعب الصبى ومرابع الشباب نظرة باكية ... ثم مضى ...

— ٨ —

كانت الشكوك القاتلة تعصف بنفس أوديب ، وكان يحاول أن ينسى كلمة الشاب المفتون الذى لمزه ... ولكن عبثاً حاول ذلك ... وكان يجهد فيما بينه وبين نفسه أن يفسر تلك النظرات الصارمة التى تبادلها ضيوف القصر بعد أن قال الشاب قالته ، ولكنها كانت تمتاص بالمعانى السود فى نفسه ، وتثير فى أعماقه ألواناً من الرِّيب تغلى بدمه فى رأسه ...

وذكر أمه — أو الملكة — وهى تحاول أن تنفقله ، وذكر سمات الخداع فى ألفاظها ، فوقر فى نفسه أنه لا بد ابن

البريد الأدبي

المباحث المصرية والعلم الحديث

صدرت نشرة خاصة بمحاضرة ألقاها الأستاذ بلاكمان في جامعة ليفربول عن « قيمة المباحث المصرية في العالم الحديث » ؛ وفيها يبسط التجارب الأولى التي قام بها الحكماء المصريون في الرياضة والفلك ، وينوه بحقيقة تاريخية هامة فطن اليها الفراعنة وهي أنه من الخطر أن يسمح لدولة أجنبية أن تحتل فلسطين .

ويقول الأستاذ في رسالته إن دراسة الاقتصاديات المصرية في عصر البطالسة تفيد العالم الحديث ، وأنه يمكن أن نلاحظ أن مثل هذه الظروف كانت موجودة بمصر منذ الأسرة الثامنة عشرة ، وأن المهندس الحديث يستطيع أن يفيد من دراسة الآثار المصرية القديمة ، ولاسيما الاهرام ، وما تدلي به من نظريات هندسية بارعة في شؤون الزوايا والمخروطات ، وفي شؤون الزخارف البديعة التي تناسب دائماً أبنيتها . وإذا كان الذوق الحديث يتطلب التناسق بين الأبنية والزخارف ، فانه لم تحرز أمة في التاريخ براعة المصريين القدماء في اتقان هذا التناسق

ويرى الأستاذ بلاكمان أيضاً أن المصريين كان لهم أثر كبير في نمو الحضارة الغربية ، وذلك بتأثيرهم المباشر أو غير المباشر على الحضارة اليونانية ، وأن حكمة المصريين كانت ذات أثر قوي في صوغ تعاليم « العهد القديم » بل كانت ذات أثر في صوغ التعاليم النصرانية ذاتها

كشف جديد بصحراء الأهرام

وفق الأستاذ سليم بك حسن الى كشف جديد بصحراء الأهرام ، وهو مقبرة كاهن من كهنة الأسرة الخامسة اسمه « نخت كا » كان رئيساً للمحفوظات الملكية وأميناً على مخازن الملك . وتقع المصطبة التي وجدت بها مقبرته جنوب مصطبة الأمير (جونوم بات) ، وهي مبنية من الحجارة الجيرية ، ولها مدخل يفتح الى جهة الشرق ، ويفضي الى بهو ذي أعمدة من الحجر ؛ وفي الحائط الجنوبي للبهو نافذة يدخل منها الضوء الى المكان

وفي الطرف الجنوبي الغربي مدخل يفضي الى حجرة زينت بنقوش ورسوم تمثل الحياة اليومية حينذاك

وهناك بابان وهميان نقشت عليهما تعاويذ وصيغ معروفة

ومن خلف هذين البابين عثر الكاشف على بئر وجدت بعد تفريغها منتهية الى حجرة صغيرة منحوتة في الصخر ، وفي هذه الحجرة عثر على تابوت من الصخر أيضاً فيه الهيكل العظمي للكاهن « نخت كا » ملفوفاً بالذهب

وقد عثر في هذه المقبرة على ١٥ آنية من النحاس بينها طست وابريق لا يختلفان عما يصنع منهما الآن ، وكذلك عثر على أطباق وممدات للأكل موضوعة على شكل مائدة استمداداً لتناول الطعام عند ما يبعث صاحب المقبرة ، كما عثر بالقرب من هذه المائدة على عظام الثيران التي نحرت وأعدت للطعام

أبوين آخرين غير بوليبوس وزوجه

« إذن ... إلى دلفي ! لأذهب إلى دلفي ! لأستوح كهنة أبوللو ، فعندهم الخبر اليقين »

وهام على وجهه حتى كان في دلفي ، وحتى وقف في هيكل أبوللو يبكي ويستنبئ الكهنة !

وساد المعبد صمت رهيب ، وانعقدت في أرجائه سحابة داكنة من بخور العنبر ، ثم انقدحت ثمة شرارة هائلة هي التي تسبق كلمات الآلـه دائماً ... وإذا صوت مذبوح يتهدج قائلاً :

« ويح لك يا أوديب ! أهو أنت ؟ إذهب أيها التعس ، فقد قضى أن تقتل أباك ، وتتزوج من أمك ، وتجر التعاسة على شعبك ... »

وصمت الصوت ، ومضى أوديب لطيته ... أو لغير طيته !

(لها بقية) دريني خشبة

وعلى جدران المقبرة نقوش تمثل الحياة المصرية ، فنها ما يمثل جوقات رقص وموسيقى ، وفى مقدمة الآلات الموسيقية القيثارة والصفارة وإلى جانب هذه النقوش الفنية ما يمثل نوعاً من أنواع التحية عند قدماء المصريين وهى التحية الخاصة بمقدمى القرابين الى الكاهن الأكبر ، فقد كان كل منهم يتقدم نحو الكاهن وهو يجر بيمناه الثور فى حين أنه يلتفت الى المكان ويضع يسراه على صدره بحيث تلمس الأصابع أعلى الكتف

الى زميلنا المهذب صاحب (المكشوف)

شوهت — سامحك الله — فى ذهنى صورة جميلة كانت المكشوف . فقد اعتقدت — وكنت على وشك أن أعلن هذا الاعتقاد — أن مجلة (العصبة) فى سان باولو ، وجريدة (المكشوف) فى بيروت ، تكتبان اليوم فصلاً قيماً فى تاريخ الأدب العربى الحديث ؛ وأن العصبة الأندلسية الكريمة التى تصدر تلك المجلة فى المهجر ، وعصبة العشرة التى تحرر هذه الجريدة فى الموطن ، إنما تجريان على تقاليد لبنان العربى فتتمان ما بدأ به آل اليازجى وآل البستانى وأضرابهم من رجال الفكر والترجمة والصحافة والتمثيل الذين عاونوا مصر على إحياء هذه النهضة ؛ وأن هؤلاء الأدباء الأوفياء انما هم حجة العربية والعروبة على هذا الأدب الدخيل الذى يستمد وجوده من فينيقية القديمة وفرنسا الجديدة ثم يزعم للأغرار أنه أدب لبنان !

نعم كنت أعتقد فى المكشوف ما أعتقد فى العصبة حتى قرأت فى عدده الأخير مقالاً وجهته الىّ فزعزع فى نفسى أساس هذه العقيدة !

ما رأيك فى رجل تكلمه فى موضوع عام فى الأدب فيقول لك : إنك شتمتنى فأنا أشتمك ؟! ان كنت تقول إن هذا الرجل لا يوجد فى الناس فتعال اذن أسألك : كيف فهمت من مقال (النقد المزيف) أنه رد عليك فقلت ما نصه : « رد الأستاذ الزيات فى رسالته علينا ولا يسمينا مخافة أن يرى بالجمود حين يحمل على دعاة الجديد والقائلين بأدب الحياة فيعمد الى اللف والدوران والتلميح . . . » ثم قلت بعد ذلك : « يقول صاحب الرسالة رداً على الحملة التى نحملها على أدب الألفاظ وشعر البكاء المتكلف والرثاء الكاذب . . . (إن هذا النقد إما أن ينبعث من مكامن الحقد فيرمى الى التجريح ، واما أن ينطلق من مواضع الغرور فيسعى الى الهدم) ثم رتبت على هذا الفهم أو الوهم ماسوغه لك أدبك . إن كنت تقرأ ما فى السطور كما يقرأ الناس فالأمر إذن لمنطق الناس ، وان كنت تقرأ ما بين السطور فالأمر لك وحدك . وما حيلة المنطق فى (دون كيشوت) الذى يريد أن يبنى بطولته على معارك من الوهم ؟ على أننى كنت أحب أن ترعى جانب الأدباء الذين يعاونونك فى تحرير المكشوف فتربأ بهم عن هذا الموضع الذى ارتضيته لنفسك . أما حملتك الهوجاء على الأستاذ الرافعى فهو أقدر الناس على ردها عليك إن شاء

عدد الطلاب الذين تقدموا هذه السنة للامتحانات العامة

بلغ عدد الطلبة والطالبات الذين تقدموا من المدارس المصرية للامتحانات العامة : (البكالوريا ، والابتدائية ، وكفاءة التعليم الأولى ، والمعلمات الراقية) فى السنة المكتبية الحالية ٢٣٫٢٠٨

فالذين تقدموا لامتحان شهادة الدراسة الثانوية قسم ثان ٥٫٤٤٥ طالباً ، منهم ٢٫١٥٥ بالقسم الأدبى و٣٫٢٩٠ بالقسم العلمى . والذين تقدموا لامتحان شهادة الدراسة الابتدائية قد بلغ عددهم ١٦٫٣٣٩ . وعدد الذين تقدموا لامتحان شهادة كفاءة التعليم الأولى ١٫٣٦٤ منهم ٩٣٥ كفاءة المعلمين و ٤٢٩ كفاءة معلمات

وبلغ عدد الطالبات اللائى تقدمن لامتحان شهادة المعلمات الاولية الراقية ٦٠ طالبة منهم ١٥ بالتعليم العام و١٧ بقسم التدبير المنزلى و١٥ بقسم رياض الأطفال والرسم و١٣ بقسم تخصيص تربية العميان

أزفالد شبنجلر

نعت إلينا أنباء ألمانيا الأخيرة الكاتب والفيلسوف الاجتماعى الألمانى أزفالد شبنجلر O. Spengler توفى فجأة فى مدينة ميونيخ بالسكتة القلبية فى السادسة والخمسين من عمره ؛ وكان قبل أن يخوض ميدان الكتابة الحرة أستاذاً فى إحدى المدارس الثانوية ولكنه فى سنة ١٩١١ هجر التعليم ، ونزل ميدان الصحافة والكتابة الحرة وهو فى عنفوان شبابه ، واشتهر بكتاباته فى الموضوعات الاجتماعية والثقافية ، بيد أنه لم يبلغ الذروة فى عالم

الكتابة يومئذ؛ وإنما بلغ شبنجلر ذروة الشهرة والنفوذ كمفكر وكاتب مبتكر بعد الحرب الكبرى حين أصدر كتابه الشهير: « انحلال الغرب » Untergang des Abendlands ، الذى طبع مرات عديدة فى وقت قصير وترجم إلى معظم اللغات الحية

وقد كان صدور هذا الكتاب حادثاً أدبياً وفكرياً عظيماً، بل يعتبر أعظم حادث فكرى وقع فى ألمانيا بعد الحرب. وفيه يدرس شبنجلر قوانين النمو والانحلال فى التاريخ، ويشرح التطورات التاريخية بطريق الدرس المقارن للعلوم الطبيعية وأصول الحيوان والنبات، ويتناول فى بحثه كل ما يتصل بمصير الانسان وطالعه، سواء من ناحية الدولة أو المجتمع. ويعتقد شبنجلر أنه استطاع بهذا العرض أن يطلع مواطنيه على الحلقة التى يستأنف منها التاريخ سيره، وعلى واجبات المستقبل. وقد أحرز كتاب شبنجلر من الوجهة الأدبية والاجتماعية نجاحاً عظيماً، ولكنه اعتبر سقيما من الناحية العلمية، ذلك أن شبنجلر لم يكن استاذاً فى كل الموضوعات التى تناولها والأصول العلمية التى اعتمد عليها، وهو مشحون بالأخطاء من هذه الناحية؛ بيد أنه من ناحية العرض الاجتماعى يعتبر قطعة رائعة من الدعاية القومية، ويبسط شبنجلر آراءه بقوة وعنف وبساطة؛ ومن ثم كان النجاح الباهر الذى أحرزه كتابه، والأثر العظيم الذى أحدثته آراؤه فى الجيل الألمانى المعاصر

مصادرة كتاب عن البلاط النمسوى

من أنباء النمسا الأخيرة أن الحكومة النمسوية قررت مصادرة كتاب صدر أخيراً بالألمانية وعنوانه « لما كنت أرشيدوقاً » « Als ich Erzherzog War » ، ومنعه من التداول فى النمسا؛ وهذا الكتاب عبارة عن مذكرات عن البلاط النمسوى القيصرى بقلم ليوبولد ڤلفلينج، وهو الاسم الشعبى للأرشيدوق ليوبولد سالفاتور أحد أمراء آل هبسبرج السابقين، ومن أبناء عمومة القيصر السابق، وقد عاش هذا الأمير حيناً فى البلاط النمسوى، ولكنه كان من الأمراء الثائرين عليه وعلى سياسته ورسومه، فلم يمض غير قليل حتى أبعد عنه، وخاض مدى حين حياة مغامرات متواثلة؛ وتوفى فى العام الماضى فى فينا فقيراً مجهولاً وهو يقص فى كتابه المذكور كثيراً من أحوال البلاط النمسوى وأسراره وحوادثه مدى ثلاثين عاماً، وقد سبق أن نشر بعض فصول كتابه فى كبريات الصحف فأثارت يومئذ كثيراً من الاحتجاج والتعليق، لأن منها ما يتعلق ببعض الشخصيات الحية، ولهذا رأت الحكومة أن تمنع تداوله

وقد تكرر منع الحكومة النمسوية فى العهد الأخير لمؤلفات ومذكرات تتعلق بالبلاط النمسوى السابق وبأسراره ومثالبه؛ وهذا ما يفسره بعضهم بأن ذلك يرجع إلى ميول الحكومة الملكية، وإلى حرصها على استبقاء سمعة الملوكية النمسوية بعيدة عن التأثر بهذه الذكريات والقصص المثيرة

ذكرى مخترع شهير

احتفل أخيراً فى ألمانيا بذكرى عالم مخترع هو أوتو فون جريكه، وهو أول من استطاع أن يطبق نظرية الضغط الهوائى بصورة عملية؛ وذلك لمناسبة مرور مائة وخمسين عاماً على وفاته وكان مولده سنة ١٦٠٢ فى مجد بورج؛ ودرس القانون والعلوم الطبيعية دراسة حسنة، وظهر أثناء الحرب الثلاثينية (حرب الثلاثين عاماً) واشترك فى عقد مفاوضات الصلح، ثم عين بعد ذلك حاكماً لمدينة مجد بورج؛ ولكنه لم ينس طوال حياته أن يشتغل بالعلوم والتجارب الطبيعية؛ وقد استطاع لأول مرة أن يجرى أول تجارب فى الطبيعة العملية، وكان ميدان بحثه فى الهواء وماهيته ومؤثراته؛ فاستطاع بعد تجارب عديدة أن يصل الى تطبيق نظرية ضغط الهواء؛ ففى سنة ١٦٥٤، نظم فى مدينة ريجنسبرج أمام القيصر فرديناند الثالث تجربة عملية من هذا النوع، وخلاصتها أنه أتى بنصفى كرة من النحاس قطر كل منهما ٣٦ سنتيمتراً، وأطبقهما على بعضهما، واستخرج منهما الهواء بواسطة مضخة صغيرة؛ ثم رتب أن يجر كل منهما ثمانية من الخيل فى اتجاه معاكس، فلم تستطع الخيل أن تنتزع نصفى الكرة من بعضهما؛ وكانت هذه أول تجربة عملية ناجحة أثبتت بها قوة الضغط الهوائى، وحاول فون جريكه بعد ذلك أن يطبق تجاربه على صنع الآلات ولكنه لم يوفق فى محاولته، وكان التوفيق فى استخدام ضغط الهواء لصنع الآلات من نصيب مخترع انكليزى يدعى توماس نيوكومن، وذلك فى أوائل القرن الثامن عشر

من هنا ومن هناك

أشهر كتب الخلاصات الحديثة

كان مؤلفو العرب يعنون عناية فائقة بوضع كتب الخلاصات للعلوم والفنون والآداب ؛ وكانت كتبهم تكبر وتكبر حتى تغدو موسوعات ضخمة تسعف القارئ بما يحتاج اليه من المعارف العامة والنبذ الخاطفة من كل علم وفن ؛ ولعل كتاب الأغانى هو أول موسوعة عربية من نوعها . ومن الموسوعات العربية أيضاً كتاب نهاية الأرب للنويرى ، وصبح الأعشى للقلقشندى ولسان العرب لابن منظور المصرى ، والعقد الفريد لابن عبد ربه ومسالك الأمصار ، وتاريخ بغداد ... الخ ، وقد اقتبس الغرب هذه الطريقة الموسوعية عن أسلافنا العرب ، فوضع ديدرو موسوعته الفرنسية ، ثم كان للانجليز موسوعتهم كذلك ، ونحسب أن الموسوعة الايطالية الحديثة التى اشترك فى وضعها الطاغية موسولينى هى أكبر موسوعات العالم قاطبة ، وإن تكن لا تفضل الموسوعة البريطانية فى الدقة وتوخى الحقيقة فيما حفلت به من سائر المعارف العالية ، ولكن هذه الموسوعات غالية الثمن غالباً ؛ ولا يستطيع الأفراد إلا الأقلون منهم اقتناءها لهذا السبب ، فثمن الموسوعة البريطانية الرخيصة مثلاً (الطبعة الرابعة عشرة) خمسة وعشرون جنيهاً أو أكثر اذا دفع الثمن على أقساط ؛ وثمن الطبعة الغالية أكثر من خمسة وسبعين جنيهاً مصرياً . وقد وضعت شركة الكتب الانجليزية Everyman دائرة معارف للأعلام على طريقة وفيات الأعيان لابن خلكان وجعلت ثمنها أربعة جنيهات

لذلك راجت كتب الخلاصات Ourlines فى أوربا عامة ، وانجلترا خاصة ، وكان الأديب الانجليزى الكبير هـ . ج . ولز هو المبتدع لهذه الطريقة الطريفة ، وذلك حين وضع كتابه الجليل « خلاصة تاريخ العالم » ، يستعرض فيه تاريخ الحياة فى هذه الدنيا منذ بدء الخليقة إلى اليوم ، فأنت تقرأ فيه لمحة من كل علم ، وطرفة من كل فن ، وخطفة من كل أدب ، وينتقل ولز من الجيولوجيا إلى الانثروبولوجيا ، إلى البيولوجيا ، إلى التاريخ ، إلى الآداب ، الى الفنون ، الى العلوم ، الى الحركات الفعالة التى تناولت الأمم بالهدم والبناء ... وكل ذلك بأسلوب طلى ، وروح وثاب ، وعبارة مشرقة غير مملولة . ولا يكاد القارئ يلتمس شيئا فى خلاصة ولز هذه إلا وجدها ، وهذه مهارة تحمد للمؤلف ، والخلاصة على نفاستها رخيصة الثمن جدا بحيث يستطيع القارئ العادى اقتناءها دون أن يرهق جيبه

وقد وضع ولز خلاصة ثانية لا تقل فى قيمتها عن خلاصته الأولى ، ولا تزيد فى ثمنها عليها ، تلك هى كتابه القيم (الانسان ، عمله ، ثروته ، سعادته) ، ويعرض فيه لطائفة رائعة من فنون العمل والحياة لا تكمل ثقافة الانسان إلا اذا وعاها

وقد ألف الكاتب الشاعر الانجليزى (جون درنكووتر) خلاصته فى آداب العالم ، وهى برغم ما فيها من الشوائب ، وما يعتور بحوثها من القصور المعيب أحياناً ، خلاصة قيمة بما حفلت به من تاريخ الأدب العالمى منذ فجر التاريخ إلى اليوم فى كل أمة ... إلا ... الشرق ! وإن يكن قد تناول آداب الشرق القديمة بفصول مشوهة مبتورة ، وإن يكن أيضاً قد خص الأدب الانجليزى بأكبر نصيب من خلاصته !

أما الخلاصة الأدبية القيمة حقاً فهى تلك التى كتبها الأديب المؤرخ الأمريكى الشهير برتن راسكو والتى سماها (جبابرة الأدب أو — أعاظم كتاب العالم) ، وقد اختار لها برتن راسكو أربعين أديباً وشاعراً من أكبر أدباء التاريخ وشعرائه ، بدأهم بهوميروس وختمهم بجورج مور ، ثم ختم الخلاصة بلمحة عن الأدب العالمى فى الخمسين سنة الأخيرة . وبرغم هؤلاء الأربعين أديباً ، فانك لا تكاد تذكر أديباً أو كاتباً فى كل عمور التاريخ إلا وجدت المؤلف حام حوله ، وأعطاك لمحة عما يهمك جداً من فنه وطريقته

وأشهر مؤلفاته ، ومع ذلك فثمن كتابه زهيد جداً

لذلك انصرف الناس عن الموسوعات لغلائها ولاشتمالها على موضوعات لا تهم غالبيتهم الى الخلاصات لرخص ثمنها ولتركزها فى باب بعينه كما فى خلاصة الفن وخلاصة الموسيقى

بيكون بين النقص والكمال

يغلو بعض مؤرخى الأدب الانجليزى فيدعى أنه لا يوجد منذ أرسططاليس الى فرنسيس بيكون فيلسوف مثل بيكون ! ومع اعترافنا بما كان لهذا الرجل من الأثر الكبير فى الذهن الانجليزى فى عصر النهضة فاننا لا نفضله على كثيرين من أبطالها ولاسيما هارفى وكيلر وغاليليو . وقد اشتهر بيكون بتفضيله التجربة فى العلوم على الاستدلالات المنطقية العقيمة وأكثر المؤرخين على أنه ليس مبتدع تلك النظرية ، فقد سبقه اليها العرب ، ثم اقتبسها عنهم غير بيكون من علماء النهضة . وكان بيكون معروفاً دائماً بالشذوذ الغريب حتى إنه كان يؤلف أحسن كتبه باللاتينية وذلك لعدم إيمانه بالانجليزية فى ذلك العصر ! !

على أن الذى يعنينا فى هذه اللمحة عن بيكون هو خلقه الذى انحدر الى الحضيض الأسفل من اللؤم والضعة . قال پوپ « بيكون فيلسوفنا المحترم : هو أعظم بنى الانسان وأعقلهم ، كما أنه أخسهم والأمهم ! ! » ولنذالة بيكون قصة مشجية تتلخص فيما يلى :

عند ما عاد بيكون من باريس كان أبوه قد مات ، وكان أخوه الأكبر قد استولى على جميع التركة بحكم التقاليد الانكليزية البالية التى كانت سائدة وقتئذ فى ذلك الشعب المحافظ العتيق . والتحق بيكون بوظيفة فى أحد الفنادق ليعيش ، ثم أكب على دراسة القانون حتى نال اجازة الحقوق فانخرط فى سلك القضاء فأبدى نبوغاً عظيما وعبقرية فذة . وكان اللورد بيرلى يعرف ما لهذا القانونى الشاب من خطر ، فشرع يقيم فى سبيله العراقيل حتى لا يبذ ابنه روبرت سيسيل الذى كانت له مطامح وآمال فى أكبر المناصب القضائية فى انجلترا . فلما شغرت وظيفة (الأفوكاتو العمومى) رشح لها بيكون بعبقريته ورسوخ قدمه فى القانون ، ثم روبرت سيسيل بحسبه ونسبه وضلع أبيه — اللورد بيرلى — فى الحكومة ومنزلته السامية لدى الملكة اليزابث ، وكانت هذه المؤهلات كلها (!) كفيلة بتعيينه فى المنصب واطراح بيكون

وكان (ايرل اسكس) يعجب ببيكون ويميل الى تعيينه ، فلما ضاعت مجهوداته عبثا عز عليه أن يقتل اليأس نفس الشاب النابغة ، فحدب عليه وواساه مواساة طيبة ، ثم وهب له أرضا واسعة تغل له غلة كبيرة ، وقصرا من أفخم قصور لندن على نهر التاميز ! !

ودار الزمن دورته ، وساءت الأحوال بين الملكة وبين ايرل أسكس ، وقدم للمحاكمة بتهمة الخيانة العظمى ، فانتدبت الملكة أعز أصدقاء الأيرل ، فرنسيس بيكون ليكون عضوا فى الهيئة التى تتولى الدفاع عنها ... فماذا جرى ؟ ! لقد كان بيكون أشد المستشارين حماسةً للملكة ضد صديقه الذى حدب عليه ، وأبعد عنه شبح الفاقة ، برغم ما كان يبدو من براءة الأيرل ، وبرغم ما كان يبدو من ميل بقية المستشارين الى تبرئته . . . ولم يكتف بيكون بهذا الموقف الشاذ اللئيم ، بل قدم مذكرة مسهبة بادانة صديقه ، ثم طلب فى نهايتها الحكم عليه بالأعدام !

وكافأته الملكة على حماسته ، فرفعته الى أعلى المناصب ، وأغدقت عليه أرفع الألقاب ، حتى غدا (لورد بيكون !)

ولما كتب بيكون كتابه فى الأخلاق (Essays) عقد فيه فصلاً من أحط ماعرفت البشرية عن (الحب والزواج والعزوبة) وذكر فيه أن الحب هو علاقة جنسية خالصة ، وغريزة شهوية وضيعة ، وأن المرأة بذلك إن هى إلا متعة للرجل وأنها مطيته الى اللذة الحيوانية الطارئة . . . الخ . . . فلما تقدم الى ليدى هاتون يطلب يدها لم تستح هذه المرأة المثقفة أن تصفعه فى وجهه بهذه الكلمة الخالدة « ليذهب الفيلسوف البهيم الى غابة قريبة فلينتق له بهيمة تكون مطيته الى لذة طارئة ثم ليلقنها فلسفته ! »

ودار الزمان دورته مرة ثانية ! وأخذت الألسن تلوك اشاعات مخزية عن رشا يأخذها النائب العمومى (وكان هو بيكون فى هذه الآونة) واضطر مجلس العموم إلى أن يثور طالباً محاكمته أمامه . . . فلما مثل الرجل وشرع الأعضاء يقذفونه بالتهمة تلو التهمة ، لم يسعه إلا أن يعترف ، ولم يسعه الا أن يبكى . . . والتمس من المجلس أن يعامله برحمة . . . وحكم عليه بغرامة هائلة قدرت بأربعين الف جنيه ، ثم بالسجن المؤبد . . . ولكنه لم يحبس غير ليلة واحدة ، ثم عفت عنه الملكة ! !

هذه لمحة عن أخلاق الرجل الذى وضع كتاباً فى الأخلاق ذم فيه أخلاق نبينا ! ! !

وهذا هو الرجل الذى يخلط بعض مؤرخى الآداب فيـدعى أنه كتب كثيراً من الدرامات التى تعزى الى شاكسبير ! !

ترجمة القرآن

لا ندرى إذا كان على إمارة المسلمين فى زماننا هذا رجل مثل المأمون فماذا عساه كان صانعاً بمن يقولون بعدم جواز ترجمة معانى القرآن بعد ما أقرها أكثر العلماء ؟

ماذا كان يصنع المأمون بالأستاذ محمد سليمان بعد الذى صنعه بالامام الكريم ابن حنبل فى فتنة خلق القرآن ؟ !

لقد كنت أود لو أن الأستاذ محمد سليمان يجيد اللغة الانجليزية إذن لأرسلت اليه نسخة من ترجمة جورج سيل أو الاسكندر روس أو غيرها ليقرأ بنفسه ما جاء فيها من الشطط فى ترجمة الآيات . وهو لو علم أن المسلمين ، غير العرب ، فى مشارق الأرض ومغاربها يتلون كتاب الله فى هذه التراجم ، ويكاد يصبأ بعضهم لما يلحظه من الضعف والسخف فيها ، لهتف حضرته مع الهاتفين بضرورة ترجمة معانى القرآن ...

هافلوك أليس

ذكرنا فى العدد الماضى من « الرسالة » كلمة عن إباحيين من إباحيي الأدباء الانجليز هما لورانس وجيمس جويس ، وقد فاتنا أن نشير إلى العلاقة بين مذهبهما ومذهب المنحطين من مثل أوسكار وبلد وأضرابه . ونذكر فى هذا العدد العالم الكبير هافلوك أليس لا على أنه إباحى مثل لورانس أو مثل جويس ، وإن دعا هو الآخر إلى التنعم بلذائذ الحياة من ذهنية وحسية وعدم كبت الغرائز والتفريج عنها ... ولكن بالوسائل المشروعة

وهافلوك أليس عالم فى التناسليات ، ولكنه بكل أسف ليس أديباً ، ولكن الأدباء فى انجلترا يصلون بينه وبين جمهورهم لأنهم متأثرون به

ولأليس ضريب آخر هو برتراندرسل سنتكلم عنه فى العدد القادم

(د . خ)

إلى صديقى أحمد أمين

[بقية المنشور على صفحة ٩٢٢]

للسلطان ؟ أم ترى أنا شغلنا عن النقد الأدبى بالدفاع عن قوم لم يكونوا يدافعون عن أنفسهم لأنهم لم يحسنوا هذا الدفاع أو لم يقدروا عليه أو لم يريدوا أن يتورطوا فيه ؟ أليس أول ما يجب على المؤرخ الأدبى وعلى المؤرخ بوجه عام أن يكون منصفاً ؟ أترى من الانصاف أن تزعم أن الذين حفظوا للشعب المصرى مظهر مقاومته للظلم وأدوا اليه رسالة ساسته وقادته ، وأدوا الى ساسته وقادته ما كان يضطرب فى نفسه من الآمال والأمانى ، وما كان يثور فى قلبه من العواطف ، كانوا متهزمين يداورون ويجاورون ويؤثرون العافية ؟

مهلاً أيها الصديق فقد يفهم من الشعوب قصر الذاكرة ، ولكنه لا يفهم من خاصة الناس وقادة الرأى وحفظة التاريخ . والغريب أن رأيك هذا فى إخوانك الكتاب يظهر أنه قد أعجبك حتى ألهاك عن حقائق ما كان ينبغى أن تلهوعنها . فهؤلاء الكتاب المنهزمون فى رأيك لم تشغلهم هـذه السياسة العنيفة المنكرة عن الأدب ولا عن النقد ؛ وإنك لتعلم أنهم جميعاً كانوا يخاصمون فى السياسة وجه النهار ثم يفرغون لأدبهم آخره ؛ وكلهم قد أنتج فى الأدب أثناء المحنة ، وفى الأدب الخالص الذى لا يتصل بالسياسة ولا يمت اليها بسبب ؛ ومنهم من اتخذ السجن وسيلة إلى هذا الانتاج ؛ ومنهم من لم تصرفه ظلمة الحياة العامة وشدة الحياة الخاصة عن أن يجول فى عالم الفن جولات ثم يعود منه ومعه زهرات فى الشعر أو فى النثر يهديها اليكم لتلهوا بها وتستمتعوا بشذاها ، وتستعينوا بذلك على المضى فى أعمالكم الهادئة المطمئنة

مهلاً أيها الصديق فقد يخيل إلى أن هؤلاء الكتاب أنفسهم لم يهملوا النقد نفسه فى ذلك الوقت ولم يقصروا فى العناية به ؛ وإذا لم تكذبنى الذاكرة فانهم قد نقدوك أنت وتناولوا كتبك بما ينبغى لها من العناية والدرس ؛ وإذا لم تكذبنى الذاكرة فقـد كانوا يفرضون على أنفسهم برغم السياسة وأثقالها وأهوالها ، وبرغم الحياة الشاقة التى كانوا يحيونها ، والتى عرفت منها شيئاً وغابت عنك منها أشياء ؛ كانوا يفرضون على أنفسهم أن يقرأوا ما يظهر من الكتب والدواوين وأن يقولوا رأيهم فيـه ؛ كانوا يفرضون على أنفسهم صفحة أدبية فى الأسبوع يفرغون لها اليوم أو أكثر

من اليوم ، ويعرضون فيها للنقد كما تحبه وترضاه ، ولست أدرى كيف نسيت أن المقالات التى كانوا يذيعونها فى النقد أثناء هذه الأعوام الأخيرة قد كانت تثير من الخصومات شيئاً كثيراً ، منه ما يثور بينهم هم ، ومنه ما يثور بينهم وبين الأدباء الناشئين . ولعلك لم تنس بعد أن خصومة ثارت بينى وبين هيكل حول ثورة الأدب ، وأخرى بينى وبين العقاد حول اللاتينية والسكسونية ، وثالثة بينى وبين العقاد حول ديوان من دواوينه . فأنت ترى أن إخوانك لم يقصروا ولم يفتروا ، ولم يسالم بعضهم بعضاً . ولم يأمن بعضهم شر بعض . ولعلك لم تنس أنى قد اتخذت الراديو فى بعض الأحيان وسيلة من وسائل النقد ، فكنت أشتد حيناً على الكتاب الذين استمرت مريرتهم وتم لهم النضج ، وأرق حيناً آخر للكتاب الذين لم تستقم لهم الأمور بعد ؛ وأنا أفهم أن تطالبنا بالمزيد وألا تكتفى منا بما نعطى ، فنحن نطالب أنفسنا بالمزيد ولا نكتفى من أنفسنا بما ننتج ، ولكن هذا شىء ووصفنا بالمداراة والمجاراة وإيثار العافية شىء آخر

وبعد فليس السبيل على الذين أدوا واجبهم الأدبى كما استطاعوا وما زالوا يؤدونه كما يستطيعون برغم ما يملأ حياتهم من الهموم وما يعترض طريقهم من الشوك ، وإنما السبيل على الذين يتاح لهم الهدوء ويستمتعون بالبال الرخى والحياة المستقيمة المطمئنة ثم لا ينقدون لأنهم لا يقرأون ، أو لا ينقدون لأنهم يقرأون ويشفقون إن أعلنوا آراءهم أن يتنكر لهم الناس وأن يسلقهم أصحاب الكتب بألسنة حداد

إلى هؤلاء أيها الصديق تستطيع أن تسوق الحديث ، وعلى هؤلاء أيها الصديق تستطيع أن تصب اللوم صباً

وأخرى لا أريد أن أختم هذا الفصل قبل أن ألم بها إلماماً . فأنت تذكر قوماً قد استووا على عروش الأدب وقد أمن بعضهم بعضاً وخافهم الناشئون ، فأنت إذن تعيد الخصومة بين من يسمون الشيوخ ومن يسمون الشباب جذعة . وأظنك توافقنى على أن التفكير فى هذه الخصومة لا يخلو من بعض الحزن . فقوام هذه الخصومة فيما أعلم أن الأدباء الناشئين ضعاف أغرون عجلون ، يخيل إليهم أن النقد يمحوهم من سجل الأدباء محواً ، مع أن النقد يثبتهم فيه إثباتاً . يريدون أن يبلغوا بالجهد اليسير ما بلغه أسلافهم بالمطاولة والمحاولة واحتمال الأذى وكثرة القراءة والدرس ، ويريدون أن يتم لهم ذلك ما بين طرفة عين وانتباهتها كما يقول القائل ؛ وفيهم كبرياء لا تخلو من سخف ، ومن سخف يذكر بأخلاق الأطفال ؛ فهم إن كتبوا رأوا لأنفسهم العصمة ، ولم ينتظروا من النقاد إلا ثناء وحمداً . فإن أدركهم بعض النقد قالوا : حسد وتكبر واضطهاد وأثرة وتثبيط للهمم . وفيهم غرور يخيل إلى كل واحد منهم أنه ممتاز من أترابه جميعاً . ومهما أنس فلن أنسى كاتباً أضاع مودة وصداقة وحباً وعطفاً لا لشىء إلا لأنى جمعت بينه وبين كاتب من معاصريه فى فصل واحد ، وكان يبغى أن يمتاز فى رأيه ، وإلا لأنى دعوته إلى أن يستزيد من القراءة فعد هذا إسرافاً واعتداء

أمام هـذا الجيل الرخو من الأدباء الناشئين يضيق الناقد المخلص بالنقد ويزهد فيه ويصد عنه صدوداً فى بعض الأحيان ، ولكنه لا يلبث أن يرى حق الأدب عليه فيستقبل من أمره ما استدبر ، ويثنى على قوم وهو يعلم أن ثناءه سيملؤهم غروراً وسيخرجهم عن أطوارهم ، ويعيب قوماً وهو يعلم أن عيبه إياهم سيدفعهم إلى اليأس إن كانوا أخياراً ، وسيدفعهم إلى القحة إن كانوا أشراراً

ونحن برغم هذا بل من أجل هذا نمضى فى طريقنا لا نقف كما يظن بعض الناس ، ولا نرجع كما تظن أنت أيها الصديق ، لأنك فى أكبر الظن قد لا تتابعنا أحياناً ، وقد تطلب منا ما نطلب من أنفسنا وتحول ظروف الحياة بيننا وبينه

أما بعد ، فإنى أحب أن أؤكد لك أنى أنا خاصة ما زلت عند رأيك القديم فى ، صريحاً إلى أقصى حدود الصراحة ، جريئاً إلى أقصى حدود الجراءة ، مستعداً فى هـذا العام إلى أن أستأنف ما فعلت منذ عشر سنين ، وإلى أن أستأنف ما فعلت منذ أربع سنين . وإنى لشديد الأسف أن كانت ثقة الأستاذ كراتشكوفسكى بى أقوى وأشد من ثقتك أنت ، فإنه لم يتردد فى مقدمة ترجمته للأيام أن يتنبأ بأن ما عرض لى من الخطوب ليس كل شىء ، وأنه ينتظر أن يعرض لى مثله . ولكن الأمور مرهونة بأوقاتها فلا تتعجل ، فمن يدرى ؟

وأنا أرجو بعد هذا كله أن تلقى هذا الفصل بصدر رحب . فإنى أهديه إليك تحية صديق يضمر لك أصدق الحب وأوفاه

طه حسين

الكتب

بغداد أو المدينة المدورة

في عهد الخلافة العباسية

للأستاذ ابراهيم الواعظ

كنت في صيف العام الماضي مصطافاً في سوريا ولبنان ولم يمنعني هذا الاصطياف من تتبع أعداد « الرسالة » وقراءتها ، وكنت قرأت في العدد (١١١) منها مقالة تحت عنوان (أغراض الاستشراق) بتوقيع أحد كتاب الرسالة الأستاذ « محمد روحي فيصل » كان قد كتبها إلى الأستاذ الكبير « محمد كرد علي » على أثر كلمة نشرها الثاني في العدد (١٠٨) من الرسالة بمناسبة نشر كتاب « المقنع في رسم مصاحف الأمصار مع كتاب النقط » لأبي عمر بن عثمان بن سعيد الداني ، وامتدح بها علماء المشرقيات لعنايتهم بكتب الاسلام ، وأنحى باللائمة على خاصة أهله لأنهم ساهون لاهون ، واستنهض بها همم علماء الأزهر وقادة الثقافة في الأقطار الاسلامية لأحياء السلف الصالح

وكنت قد هممت أن أكتب كلمة ولكني وجدت في كلمتي الأستاذ « محمد كرد علي » اللتين نشرتا في العددين ١١٤ و ١١٥ من الرسالة ما يكفيني مؤونة الكتابة والرد

هذا وقد سنحت لي الفرصة الآن بمناسبة كتاب طبع ببغداد في الآونة الأخيرة لأقول كلمة في هذا الموضوع

إنني أتفق تمام الاتفاق مع الأستاذ « روحي فيصل » فيما كتبه عن علماء المشرقيات من ناحية . وأختلف معه تمام الاختلاف من ناحية أخرى : أتفق معه على أن بين هؤلاء العلماء من كان قصده من الاستشراق هدم كيان الدين الاسلامي من جهة ، والتبشير بطريقتهم من الجهة الاخرى . ولا جدال أن مثل هذه الفئة من علماء المشرقيات مضرة تمام الضرر ، وجرثومة فتاكة يجدر بكل مسلم أن يسعى لمحقها بشتى الوسائل

على أننا إذا ما صرحنا برأينا في هذه الفئة لا يسعنا أن نغمط حقوق الفئة الاخرى من هؤلاء العلماء ، لان الغمط في مثل هذا المقام تجاوز على الحق والحقيقة معاً

إننا مهما حاولنا أن ننكر ما لهذه الفئة من فضل على الاسلام والعرب فالواقع يكذبنا ويدحض هذا الانكار . نظرة بسيطة نرسلها الى الآثار القيمة والأسفار العظيمة التي اعتنت بطبعها واخراجها تلك الفئة تدلنا على أنه لولا الجهود الجبارة التي قام بها هؤلاء العلماء لما أمكننا أن نعلم شيئاً عن الآثار المهمة ككتاب « الطبقات الكبرى » لابن سعد ، وهو الكتاب الفريد الذي يعد الآن من أكبر أمهات الكتب من جهة ، والمأخذ الوحيد للقضايا الهامة في التاريخ الاسلامي من جهة أخرى . وقل مثل ذلك عن بقية الآثار العظيمة التي نشروها

هذا كتاب الانساب « للسمعاني » لولا هممهم لما طبع ولأصبح في زوايا الاهمال ؛ لقد طبع هذا الكتاب في لندن طبعة شمسية « فوتوغرافية » ولا يخفى ما تكلف هذه الطريقة للنشر من النفقات والجهود . وهناك كتاب « مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين » للامام الأشعري . فلولا همة الأستاذ « ريتر » المستشرق الألماني والمبادرة بطبعه في الآستانة لكان نصيبه التلف في الخزانات . ولا ننس ما لمطبعة « ليدن » في « هولانده » من الفضل الأكبر في طبع أمهات الكتب التاريخية والأدبية واللغوية وغيرها ، كتاريخ الطبري ، واليعقوبي ، وتجارب الأمم لابن مسكويه ، وتاريخ الصابي ، والعيون والحدائق ، والمسالك والممالك لابن حوقل ، والاصطخري ، وكتاب التنبيه والاشراف للمسعودي ، والأعلاق النفيسة لابن رسته ، وكتاب مراصد الاطلاع لعبد المؤمن ، وغيرها من الكتب المهمة التي لم تحضرني أسماؤها . على أن مطابع لندن وباريس وليبزج وروما وغوتنغن وغريبفزولد لا تقل خدمة عن بقية المطابع التي قامت بقسطها من الأعمال الجبارة في اخراج هذا التراث الثمين الخالد

ولا يفوتنا أن الكثير من هذه الكتب لم تكن مطبوعة في المطابع العربية إلا النزر القليل منها

إذن لولا هذه الجهود العظيمة الموجهة الى خدمة العلم والأدب خاصة ، لما أمكننا أن نتوصل الى مشاهدة هذه الآثار اللهم إلا إذا تجشمنا مصاعب السفر ومصائبه ، وفتشنا عنها فى زوايا المكاتب فى سائر الأقطار الأوربية والشرقية

لم تقف أعمال هؤلاء العلماء عند حد الاخراج بالطبع ونشر الآثار وإنما انصرف اهتمامهم إلى التحقيق والدرس ، وأخيراً إلى التأليف ؛ ذلك التأليف المنتج والمستند إلى الحقائق التاريخية . فمن هؤلاء الرجال العاملين المستشرق الانكليزى الأستاذ الكبير « ليسترنج » فانه كتب كتاباً عن « بغداد » فى عهد الخلافة العباسية ضمنه معلومات تاريخية منقطعة النظير لم يسبقه اليها سابق ، ولم يلحقه فى تحقيقها لاحق . والذى يجيل طرفه فى قائمة المآخذ والمصادر التى استقى منها المؤلف وألف كتابه يعلم قيمة هذا التأليف ومزيته التاريخية . وهذه حلقة أخرى نسجلها لهذه الفئة الصالحة من علماء الشرقيات

وبعد ، فان الذى حدا بى لكتابة هذه الكلمة هو قيام أحد شبان العراق المخلصين الأستاذ بشير يوسف فرنسيس بترجمة هذا الكتاب ترجمة صالحة قيمة . وإنى بدورى أكبره على اهتمامه ، وأهنئه على هذا العمل الشاق ، وأتوسل — كما توسل من قبلى الأستاذ الكبير « محمد كرد على » — الى ساداتنا العلماء أن يأخذوا باليمين آثار السلف الصالح يحمونها ، ويخدمون بها الأمة الاسلامية خاصة ، والعربية عامة

وأخيراً أتمنى للمترجِم بشير يوسف توفيقاً وللمترجَم رواجاً

(بغداد) ابراهيم الواعظ المحامى

إصلاح خطأ المحدثين [1]

بقلم برهان الدين محمد الداغستانى

ذكرت فى مقال عن أبى سليمان حمد بن محمد الخطابى (عددى الرسالة ٩٨ و ٩٩) أن لأبى سليمان كتاباً باسم « اصلاح غلط المحدثين » ، أورد فيه قرابة مائة وثلاثين حديثاً ، يرويها أكثر المحدثين ملحونة أو محرفة ، أصلحها وبين الصواب فيها ؛ وقلت فى الحاشية إن منه نسخة قيمة فى دار الكتب المصرية مكتوبة بخط محمد محمود التركزى الشنقيطى تحت رقم «١٥١٠» حديث ، وقد قام صديقى السيد عزت العطار سكرتير لجنة الشبيبة السورية بالقاهرة بنشر هذا الكتاب فجاء صورة صحيحة لنسخة العلامة الشنقيطى المحفوظة فى دار الكتب المصرية

ولأبى سليمان الخطابى مكانة عظيمة بين رجال الحديث الذين كتبوا فى فقهه أو غريبه ، وتتجلى منزلته فى كلتا الناحيتين فى كتابيه : « معالم السنن فى شرح سنن أبى داود » المطبوع فى حلب و « غريب الحديث » الذى لا يزال حبيس دور الكتب إلى الآن . والظاهر أنه بعد فراغه من كتابيه السالفين أراد أن يجمع فى كتاب على حدة الكلمات التى يغلط فيها المحدثون والرواة ، فجمع هذه الجمل فى كتاب « اصلاح خطأ المحدثين » ، ولكنه لم يضع لهذه المجموعة اسماً خاصاً ، بل اكتفى بقوله فى المقدمة : « هذه ألفاظ من الحديث يرويها أكثر الناس ملحونة ، أصلحناها وأخبرنا بصوابها ، وفيها حروف تحتمل وجوهاً اخترنا منها أبينها وأوضحها ، والله الموفق للصواب لا شريك له »

ثم جاء بعد ذلك المؤرخون ، فسماه بعضهم « اصلاح غلط المحدثين » ، وآخرون « اصلاح خطأ المحدثين » ، واقتصر غير هؤلاء وأولئك على تسميته اصلاح الغلط أو اصلاح الخطأ

وجاء دور دار الكتب المصرية ، فسمته فى فهرسها باصلاح الألفاظ الحديثية التى يرويها أكثر الناس ملحونة ومحرفة ، وهذا الاسم مع طوله وخروجه على المألوف فى الأسماء لم أجد من ذكره من المؤرخين . كذلك أحله منظمو الفهارس فيها غير محله ، فوضعوه فى فهرس الحديث وحقه أن يوضع فى فهرس اللغة العربية

فلعل أولى الشأن فى دار الكتب يولون هذه اللاحظات ما تستحق من الاعتبار فيصححون اسم الكتاب ويردونه الى حظيرته فى فهرس اللغة والله سبحانه أسأل السداد والتوفيق ؟

(١) هذا الكتاب مطبوع على ورق أبيض جيل فى نحو ٣٥ صحيفة ويطلب من ناشره عزت العطار شباك بوسطة الأزهر